الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه الأخضر
بالوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد التداولية لتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

من خلال كتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل

لابن الزبير الغرناطي

مذكرة مكملة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : لسانيات عامة

إعداد الطالبتين :
إيمان خلايفة
زينة مولاتي

إشراف الدكتور :
لزهر كرشو

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. بشير عبابة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيساً
د. لزهر كرشو	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفاً ومقرراً
د. سليم سعداني	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيـــــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

آل عمران / 07

شكر وعرفان

. . .إلى كل الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث

. . وإلى أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور : [illegible]

. . .على احتضانه للبحث ، وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل .

الحمد لله الذي بنعمته أتممنا هذا العمل .

أهدي هذا العمل إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار ، إلى من كان سندا لي في هذه الحياة ، إلى من أفنى عمره لتعليمي وراحتي ***أبي الغالي*** .

أطال الله في عمره .

إلى منبع الحب والحنان ، بسمة الحياة وسر الوجود ، إلى من سهرت على راحتي ، إلى من كان دعاؤها الخالص يرافقني في كل دروب حياتي

أمي الحبيبة .

أطال الله في عمرها .

إلى من تقاسمت معهم حياتي من فرح وحزن ، **أخوتي و أخواتي** كل واحد باسمه .

إلى أستاذي الدكتور " ***لزهر كرشو*** " الذي أنار لنا الطريق و لم يدخر جهدا للمساعدة .

إلى كل صديقاتي .

وإلى كل دفعة الماستر لسانيات عامة 2018 .

ايمان

إلى ....

روح أبي العزيز . . . رحمه الله .

إلى أمي الحـــــنون . .

غاليـتي أخـــتي وفـــــاء . .

إلى كل صديقاتي وزميلاتي . . . لكم منّي كلّ الـودّ

زينة

مقدمة

لطالما كان المعنى من القضايا المستعصية والمعقدة التي أجهدت اللغويين والفلاسفة لتقصيه، ووقفت النظريات اللسانية والمناهج عاجزة حيالها الواحدة تلو الأخرى، وإثر تطوّر البحث اللغوي في العقود الأخيرة من القرن الماضي ظهرت التداولية كعلم جديد ردّا على ماكان من قصور في المناهج السابقة والنظريات اللسانية كالبنيوية والتوليدية التحويلية التي ركزت نظرها على اللغة وعزلتها عن سياقها الاجتماعي والثقافي وأهملت معطيات الخطاب الخارجية كمعتقدات المتكلم ومقاصده وتكوينه الثقافي وزمن الخطاب ومكانه، والظروف الاجتماعية المرتبطة باللغة، فضلا عن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين .

كل هذا وذاك تداركته التداولية كونها دراسة للمنجز الفعلي في حيّز الاستعمال، تهتم باستعمال اللغة لا باللغة فحسب، فهي تتجاوز المعاني الوضعية للمفردات وأنظمة اللغة المعيارية الصارمة إلى معانٍ أخرى تكتسبها بتفاعلها في محيطها التواصلي.

وبرغم الغموض الذي لا يزال يكتنف هذه النظرية الجديدة إلا أنها نالت استحسان عديد من الباحثين العرب فخاضوا فيها بالتأصيل والتنظير للسانيات تداولية عربية تتماشى مع اللسان العربي بل واستفزتهم لينقبوا على إرهاصاتها في تراثنا العربي النحوي والبلاغي الذي ظل متصديا لكل ما ينافسه من جديد بل و كان إثراء له .

ولم يكن تراث المفسرين بأقل عبقرية منه فقد كان المفسرون لغويين بالدرجة الأولى بل ونستطيع القول و تداوليين بالفطرة و بالمراس إن صح التعبير فقد عنَوْا بأسباب النّزول و مقاصد السور والآي إلى جانب تضلعهم في اللغة الذي هو شرط من شروط المُقْدِم على التفسير. وهو ما أوحى لنا بفكرة هذا الموضوع الموسوم بـــ:

" الأبعاد التداولية لتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من خلال كتاب (ملاك التأويل) لابن الزّبير"

وقد كان **اختيارنا للموضوع** مبنيا على عدة اعتبارات وأسباب موضوعية وذاتية أهمها:

ـ الرغبة في الخوض في الدراسات اللسانية الحديثة، لحداثة عهدها، والتي تثير فينا الفضول العلمي لاكتشاف المسْتجدّ في البحث اللغوي.

ـ الأهمية البالغة التي تكتنف الدرس التداولي باقتحامه عالم الخطاب مدجّجا بنظريات حديثة ساهمت في مقاربته مما جعله منهجا شبه متكامل في الإحاطة بالمعنى ، ضالّــة اللسانيات.

وما جعلنا نميل إلى إسقاط هذه الدراسات الحديثة على توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إيماننا بالعبقرية الفذَّة لدى علمائنا القدامى والتي بقيت صامدة أمام كل المناهج الحديثة، إضافة إلى ميلنا للدراسات القرآنية وخدمة القرآن الكريم عسى أن يردنا الله إليه ردّا جميلا.

وقد وقع اختيارنا على كتاب (ملاك التأويل) لابن الزبير دونًا عن غيره برغم شهرة (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي الذي فتح باب هذا العلم، إلا أن ابن الزبير تميّز عليه باستقرائه الجيّد للآيات المتشابهة فكان أكثر إلماما ، وبمنهجه التطبيقي التحليلي الموسع، وحسّه النقدي وطول نفسه في الشرح والتعليل المعمق بحثا عن أسرار التشابه، بالإضافة إلى أسباب عدة تذكر في مظانها.

يتلخص عملنا في البحث عن الإشارات التداولية أو المنهج التداولي الذي اعتمده ابن الزبير بطريقة أو بأخرى في توجيهاته للآيات المتشابهات لذلك كانت تجول في خواطرنا افتراضات عدّة أفضت إلى **إشكالية** جوهرية تتلخص في " **ما مدى حضور الأبعاد التداولية للمتشابه اللفظي في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير ؟** "

و يمكن تفصيل مجمل الإشكالية في الأسئلة التالية :

1/ هل تسهم أطراف الخطاب وعناصره السياقية في تحديد عناصر الملفوظ في الخطاب القرآني؟

2/ هل راعى المفسرون القدامى المهتمون بأمر المتشابه هذه الحيثيات في توجيهاتهم وتنبهوا إلى قيمتها التداولية ؟

3/ هل أسهمت ملفوظية الخطاب القرآني في إظهار تداوليته أم أنها كانت مجرد تلوين للقول ؟

4/ هل يمكن للتداولية أن تجد ضالتها في سبر أغوار الخطاب القرآني؟

وقد اتبعنا في منهجنا **المنهج** التداولي ، الذي يعدّ الأنسب لأهداف بحثنا كونه يستبطن المقومات التداولية بضبط استعمالية الملفوظ، حيث قمنا باختيار نماذج من كل نوع من أنواع المتشابه اللفظي للقرآن الكريم من كتاب ملاك التأويل لابن الزبير حسب تقسيم الزركشي، للكشف عن النظرة التداولية التي عالج بها ابن الزبير الآيات المتشابهة من خلال تفكيكه لعناصر العملية التواصلية بكل حيثياتها ورصد المكامن التي حددت الاختيار في الملفوظات . وكان اقتصارنا في الموضوع على توجيهات ابن الزبير دونا عن غيره كعينة للفكر التداولي لدى مفسري القرآن الكريم وموجهي المتشابه اللفظي، لذا لم يكن من داع لوضع آرائه في ميزان النقد أو مقارنتها بغيرها من توجيهات المتشابه اللفظي كالإسكافي وابن جماعة أو غيرهم.

لأجل كل ذلك، ووفق تقسيم محدد لأنواع المتشابه اللفظي للقرآن الكريم ارتأينا اختيار نماذج منها بحسب ما رأيناه مناسبا لخدمة بحثنا وبالقدر الأوفر للحصول على نتائج أوضح لتتحدّد معالم موضوعنا، و سرنا على هدي **الخطـة** التالية: مقدمة ، فصلان وخاتمة .

الفصل الأول : "الأبعاد التداولية و المتشابه اللفظي "

وقد كان في قسمين ؛ قسم تناولنا فيه الأبعاد التداولية الأربعة ؛ البعد الملفوظي والبعد القصدي و البعد الاجتماعي والبعد الإقناعي ، والقسم الثاني خصصناه للمتشابه اللفظي؛ تعريفه وأنواع والكتب التي صنفت فيه وأهمّيته وفوائده.

الفصل الثاني : " المقاربة التداولية لتوجيهات ابن الزبير في كتابه (ملاك التأويل) "

وكان القسم الأول فيه خاصًّا بالكتاب ؛ مدوَّنة الدراسة عرضنا فيه إلى صاحبه ؛ اسمه ونسبه وخصاله ونشأته ومكانته العلمية ووفاته ومؤلَّفاته. ثمَّ إلى الكتاب نفسه وقيمته العلمية ومنهجه العام في عرض

الآيات المتشابهات ومنهجه التطبيقي التحليلي في تقصّي أسرار الاختلاف في المتشابه اللفظي ثمَّ مزايا الكتاب ومآخذ عليه. ثمّ في القسم الثاني وهو صلب موضوعنا مقاربة للنصوص التوجيهية؛ آيات متشابهات مختارات حسب تقسيم أنواع المتشابه اللفظي للزركشي والمذكور في الفصل الأول. اخترنا من كل نوع آية وزاوجنا في كل منها بين تحرير معنى الآيات دون تكلف البحث في كتب التفاسير فليس هو القصد ، ورؤية صاحب الكتاب لسر الاختلاف ، وبين المقاربة التداولية لتوجيهاته بربطها بعناصر الخطاب وحيثياته المختلفة.

ثم كانت **الخاتمـة** والتي ضمّنّاها أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث، أعقبناها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدناها في الدِّراسة ، وفهرسا للموضوعات.

ومن أهم **المصادر و المراجع** التي اعتمدناها في بحثنا كانت مجموعة من كتب التداولية لتوضيح العديد من المفاهيم و النظريات ، وأهمها :

- المقاربة التداولية لفرنسوار أرمينيكو.

- التداولية من أوستين إلى غوفمان لفيليب بلانشيه.

- استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

ومن كتب المتشابه نذكر مصدرنا الأول ملاك التأويل لابن الزبير.

- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال ملاك التأويل لإبراهيم بن عبد العزيز الزيد.

- درة التنـزيل وغـرّة التأويـل للخطيب الإسكافي.

وكتب أخرى لابد منها كمصادر أولى لأي بحث لغوي كالبرهان للزركشي... وغيره كُثر.

أما **الدراسات السابقة** في هذا الباب فأهمها :

- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: رسالة دكتوراه لصالح بن عبد الله الشثري.

– البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي للدكتور إبراهيم بن عبد العزيز وهي رسالته في الماجستير حوّلها فيما بعد لكتاب.

– أثر السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني : رسالة ماجستير لتهاني بنت سالم باحويرث.

هذه الدراسات وغيرها ركزت بحثها على أسرار بلاغة المتشابه اللفظي وأثر السياق في توجيه الدلالة. وطرحنا لا ينأى عن ذلك إلا أنه يسلط الضوء على العناصر التداولية التي وِفقها وُجد الاختلاف في الآيات المتشابهة اللفظ باعتبارها ملفوظات يحكمها مبدأ الواقع الفعّال.

وأخيرا ومما لا شك فيه فإن كل عمل لن يخلو من نقائص وعيوب كنّا قد بذلنا وسعنا لتفاديها ولندليَ بأحسن ما لدينا ، وقد كان صراعنا مع بعض **العراقيل والصعوبات** التي اعترضت سبيلنا والتي تمثلت في :

– جدّة المنهج التداولي وإشكالية التطبيق فيه، والتي لازالت تستعصي على كبار الباحثين بل والمنظرين له.

– صعوبة كيفية إسقاط المفاهيم التداولية على ساحة المتشابه اللفظي وتوجيهاته.

– اختيار المدونة التي ارتكز عليها عملنا والتي ستخدم موضوعنا بالشكل الأوفى والأوفر. إذ لم يكن اختيار كتاب ملاك التأويل من بين كتب المتشابه اللفظي بالأمر الهيّن أبدا وسنعرض في بحثنا مكانته العلمية ومميّزاته التي لأجلها وقع عليه الاختيار.

– ضيق الوقت بالمقارنة بشساعة موضوعنا برغم محاولتنا ضبطه قدر الإمكان، ولقد تمنّينا لو كان الوقت أوفر لكنّا قد أبحرنا في البحث أكثر.

برغم ذلك ، وبرغم ما يعتري عملنا من نقص فحسبنا أنّا طرقنا هذا الباب الشائك من الطرح، وأدلينا ببعض ما أردنا الإفصاح عنه، وخطونا خطوة نحو ما سعينا للوصول إليه، ليكون هذا العمل المتواضع ثمرة جهدنا الذي نسأل الله أن ينفع به ويكون لنا لا علينا .

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل ، وبالامتنان والتقدير لأستاذنا الكريم الفاضل **الدكتور الأزهر كرشو** على حسن إشرافه وتوجيهه و سموّ أخلاقه و معاملته وصبره علينا نسأل الله أن يجازيه عنّا خير جزاء ، كما نشكر كلا من الدكتور **البشير عبابة** و الدكتور **سليم سعداني** اللذان تكبدا عناء قراءة بحثنا هذا لأجل مناقشته وتقويمه ونقده نقدا بناء يضيف إليه ما قد غاب عنّا، لهما منا ألف تحية على حسن البذل و العطاء والإفادة.

الفصل الأول

الأبعاد التداولية والمتشابه اللفظي

أولاً: الأبعاد التداولية.

1- البعد الملفوظي :

لدراسة البعد الملفوظي للحدث الكلامي أو المكون الملفوظي لابد من المرور بمفهوم الملفوظية كنظرية لسانية تحتضنها التداولية ، انبثقت عن تطور البحث اللساني الذي أصبح ينظر للغة كواقعة تواصلية تحكمها حيوية الاستعمال .

1-1- مفهوم الملفوظية:

والملفوظية ترجمة للمصطلح الفرنسي fnenciation ، الذي أشار إليه الألسني السويسري شارل بالي في كتابه " اللسانيات العامة و اللسانيات الفرنسية " .

تعددت الآراء في تعريفها ، فهذا بينفينست يرى أن " الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي " ، أما ديكرو و أنسكومبر فيريان فيها ذلك النشاط اللغوي الذي يمارسه المتكلم في لحظة كلامه ، كما يمارسه المستمع في لحظة استماعه "[1] .

ومحور هذه النظرية هو الملفوظات ، ويحدد غريماس و كورتاس ، الملفوظ على أنه " تتابع من الجمل المحققة أي كل ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا ، يتحدد ضمن إنيّة من التلفظ عن طريق ضمائر الملكية ، الصفات و الظروف ، و المبهمات الزمانية والمكانية " أما التلفظ فهو العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ[2].

ويجدر أن نفرق في ظل هذه النظرية بين الجملة و الملفوظ كوحدتين تحليليتين ، تتعلق الأولى باللسان ، وتتعلق الثانية بالكلام ، ولعل ديكرو من اللسانيين البارزين الذين وقفوا على هذا التمييز ، إذ اعتبر الجملة كيانا لسانيا مطلقا ومطابقا لذاته عبر مختلف تحققاته ، أما الملفوظ فقد اعتبره عرضا كلاميا خاصّا ، والناتج الذي يأتي عليه التحقيق الفعلي للجملة داخل العملية التلفظية ، فالمتوالية (السماء سوداء) خارج الاستعمال جملة دلالتها نسبة السواد للسماء وفقط ، أما مع مراعاة الاستعمال فإن ما كان منها جملة يصير ملفوظا ، ويعدل عمّا كان فيها من دلالة لسانية إلى

[1] – جان سيرفوني ، الملفوظية ، تر : قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكُتاب العرب ، دمشق ، دط ، 1998 ، ص 7.

[2] – ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو ،، ط2 ،2012 ، ص 18.

ما للملفوظ من معنى ، كأن تدل بحسب الاستعمال على : السماء غائمة ، السماء ملوثة، السماء ليلا[1].

1-2- شروط الملفوظية :

تصبح الجملة ملفوظا بواسطة مستعمليها : أي المتحدثين والمخاطبين في زمان ومكان انتج الملفوظ فيهما ، وسياق محدد بالقياس إليه يكون لهذا الملفوظ حدّا أدنى من المقبولية ، كما أن استخدامها كملفوظ يكون رهين ملاءمته السياق مع السياق الكلامي أو ما يسمى بالترابط النصّي ، ومع حالة الانسجام الذي يكلفه الطقس الاجتماعي اللغوي أو عقد الكلام ، تبعا للمصطلح الذي اقترحه باتريك شارودو . فلا تكفي أن تضم الجملة كلمات تنتمي إلى اللغة وتشكل وفقا لقواعد علم التراكيب ، لكن ينبغي أيضا أن تكون بينهما درجة معينة من الدلالية ، ولا يمكن اعتبار الملفوظ ذي دلالة واضحة دون أن تتحقق فيه شروط الحقيقة ، أو وجدنا له تأويل عبر مغامرات الخيال . إضافة إلى ذلك فإن الجملة تنطوي في مكونها الملفوظي على موجّه Modalite ، يشكل توقعا لنمط الفعل الذي تميل إلى إنجازه [2] .

1-3- مباحث نظرية التلفظ :

تنبني هذه النظرية على مباحث أهمها :

1-3-1- مرجعيات الملفوظ :

وهي علامات تحيل إلى ملفوظيتها ، ويقال أحيانا تعكسها . وهي : أنا ، أنت ، هذا ، الآن . وهي كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية ، وهذه العناصر هي : المتحدث والمخاطب ومكان وزمان الملفوظية ، وهي لاتستطيع استقبال معنى محدد إلا إذا كانت على علاقة وجودية مع الموضوع الذي تمثله ، ففي كل مرة تقال (أنا) فإن هذا الضمير لا يسعه إلا أن يدل على المتكلم القائل بها .

ومنه فإنه يستحيل وضع مرجع محدد لتلك الكلمات إذا كنا نجهل باعتبارنا مخاطبا أو شاهدا أو عن طريق معلومات منعزلة[3] .

---

[1] -انظر : عبد السلام إسماعيلي علوي ، التلفظ و الإنجاز ، مقال ، الموقع الالكتروني https://www.aljabriabed net .

[2] - انظر : جان سيرفوني ، الملفوظية ،ص ص 17- 20 .

[3] - انظر ،المرجع نفسه ، ص 27 .

1-3-2- الدلالات الإيحائية و الافتراضات المسبقة :

تشكل الدلالات الإيحائية جزءا من أوجه اللغة التي يصعب الإحالة بها ، والتي تختلف فيها بالتالي آراء اللسانيين بشكل ملموس .

ويشير أزفلد ديكرو إلى دور الافتراض المسبق في العلاقات الذاتية و التي تشكل وجها للظاهرة ، حيث يعرفه " الافتراض المسبق هو الفعل Acte الذي يفرض المتحدث من خلاله على المتلقي عالما من الخطاب ، و يلاحظ أن الافتراض المسبق يتجلى تقريبا في كل مكان من المعجم ، و في التركيب وأنه على نقيض أفعال اللغة الأخرى التي قام فلاسفة مدرسة إكسفورد بتحليلها يفتقر إلى علامات تسهل تحديده "[1] .

1-3-3- الإشاريات :

يقوم البحث التداولي على عدة مفاهيم لدراسة الظواهر اللغوية من بينها الإشاريات. والتي هي الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم ، من بينها أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة و الضمائر وظروف المكان و الزمان ،وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي لأنها خالية من أي معنى في ذاتها ، فبالرغم من ارتباطها بمرجع آخر إلا أنه غير ثابت[2]، لذلك سماها العرب مبهمات ، إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب حيث " يتفق النحاة جميعا على أن الأسماء المبهمة يعني بها أسماء الإشارة وقد خص بعضهم المبهمات بأسماء الإشارة وحدها "[3] ، وفي كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه ، ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، فإذا قرأت جملة مقتطعة من سياقها مثل :

– سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنهم ليسوا هنا الآن .

وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه ، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه ، وهذه العناصر هي : واو الجماعة ، وضمير جمع الغائبين (هم)، واسم الإشارة (هذا) ، وظرفا الزمان (غدا) و (الآن) ، وظرف المكان (هنا) .

---

[1] – نقلا عن : عبد الرحمان بوشلاغم ، تجليات مظاهر التداولية في التراث العربي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2014 ، ص 44 .

[2] – انظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، لبنان ، الكتاب الجديد ، ط 1 ،2004 ،ص 80 ،81 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 80 ، نقلا : إبراهيم بركات ،الإبهام والمبهمات ، مصر ، دار الوفاء ، د ط ، ص 33 .

ولا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر ، و مثل ذلك أن تجد إعلانا غير مؤرخ يقول : البيع بالمزاد العلني يوم الخميس فلا تعرف عندئذ أي يوم من أيام الخميس يكون، وهل انقضى وقته أم لم يزل ، ولكي يكون معناه مفهوما لا بد من معرفة ما يشير إليه بتحديد زمانه بالقياس إلى زمان المتكلم[1] .

كأنه يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي و الاجتماعي بالنسبة لأطراف الخطاب[2].

ويرى أغلب الباحثين على أن الإشاريات أنواع خمسة وهي الإشاريات الشخصية ، والإشاريات الزمانية ، والإشاريات المكانية ، والإشاريات الاجتماعية ، والإشاريات الخطابية أو النصية ، نوجزها على النحو الآتي :

1-3-3-1- الإشاريات الشخصية :وهي بشكل عام ، الإشاريات الدالة على المتكلم ، أو المخاطب ، أو الغائب . فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق ، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد ، فالذات المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه ، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا ؛ لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ الإنسان أو المعلم أو الأب ، وهكذا ..[3].

والنحو التقليدي يتحدث عن الضمائر الشخصية بالنسبة ل " أنا " "أنت " و يلحق بهذا خطأ بضمير الغائب "هو " ، سبب هذا الإلحاق الخاطئ هو أن تصريف الأفعال يوهم النحويين باقتسام نفس الخصائص من طرف الضمائر الثلاثة ، لهذا السبب ايميل بينفنيست Benveniste تسمية ضمير الغائب بالضمير اللاشخص لأن يدل كذلك على أشياء الوجود الأخرى .[4]فالأسماء الشخصية حسب بيفنيست تكون طرف بدورها في الجهاز الشكلي للملفوظ فهي علامة الذاتية في اللغة ، ويظهر أن الأمر يتعلق بعمليتين مختلفتين : الكشف وجوديا عن القائل "أنا" أو القائل " أنت" في غرض من الأغراض الملفوظة ، و قياس الأهمية في تعريف الذاتية عموما . الإعلان عن طابع القائل في اللغة.

---

[1] – محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،الجامعة الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ،ص ص15، 16 .

[2] –انظر : المرجع نفسه ، ص 22 .

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 82 .

[4] – بويريس درهمان ، مدخل إلى النظرية التداولية ، مجلة علوم التربية ، ص 118 .

و يضيف فلاسفة اللغة شرط الصدق truth condition فإذا قالت امرأة مثلا :- أنا أم نابليون .

فليس بكافٍ أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة ، بل لابد من التحقق من مطابقة المراجع للواقع بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلا ، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة ، فإن لم يتحقق شرط الصدق كانت الجملة كاذبة [1].

1-3-3-2- الإشاريات الزمانية : الإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم هو مركز الإشارة deictic center الزمانية في الكلام فإذا لم يعرف زمان التكلم أو زمن الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ ، فقولك مثلا : بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة[2].

والزمن نوعان : زمن نحوي و زمن كوني خارجي؛ فالنحوي زمن الجملة، والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي مثل : الظروف ، وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي [3] .

في حين نقرأ قوله تعالى ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[4] ،على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف تحيلنا الآن إلى زمنها وزمن يوسف عليه السلام لا زمن القراءة.

على أن الإحالة إلى الزمان قد تستغرق المدة الزمنية كلها ، كأن يقال اليوم أربعاء ، و قد تستغرق مدة من الزمان كأن يقال : "ضرب زيد عمرا يوم الخميس ، فضرب زيدٍ عمرًا لا يستغرق يوم الخميس ، بل يقع في حيز منه ، وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفا إلى زمان أوسع ، فكلمة اليوم في قولنا :(بنات اليوم) مثلا ، تشتمل العصر الذي نعيش فيه ، و لا تتحدد بيوم مدّته أربع وعشرون ساعة وكل ذلك موكل إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان"[5].

---

[1]- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الجامعة الاسكندرية ، 2002 ، ص18 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 19 .

[3] - محمود عكاشة، النظرية البرغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط 1 ، 2013 ، ص 85.

[4] - يوسف / 51.

[5] - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 20 .

1-3-3-3-الإشاريات المكانية : وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة، ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل : هذا وذاك ، وهنا وهناك ، ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه[1].

ويمثل المكان بُعداً أساسيا يحس به الإنسان و يؤثر في وجوده وكينونته وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان ، بأبعاد ذهنية شعورية والإحالة الظرفية يعيّن دلالتها الواقع[2]. فإذا قال شخص :" أحب أن أعمل هنا ، فكلمة (هنا) تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه ، وقد يكون مكتباً أو مؤسسة أو مبنى ...

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة نحو: هذا و ذاك وهنا وهناك، وسائر ظروف المكان مثل: فوق، تحت ، وهي من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى القريب أو البعيد من المتكلم ، مركز الإشارة المكانية، وسائر ظروف المكان مثل فوق و تحت وأمام وخلف ...

ويرى بعض الباحثين أن (ال) التعريف تدخل في العناصر الإشارية لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة ، والفارق بينهما أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد (+قرب) أو (+بعد) ، فهو موسوم بالقرب أو البعد ، أما (ال)التعريف فهي غير موسومة بقرب و لا بعد ، ويرى هؤلاء أن التعريف في أساسه مفهوم إشاري.

ويلفت بعض الباحثين إلى أن عناصر الإشارة إلى المكان قد تنقل الإشارة إلى ما يسمونه المسافة العاطفية ، و تسمى عندئذ الإشارة الوجدانية ، وهو قريب مما أسماه علماء المعاني في العربية " التحقير بالقرب " نحو قوله تعالى :(أهذا الذي يذكر آلهتكم) ،والتعظيم بالبعد كقوله تعالى :(ألم ، ذلك الكتاب).

وقد يكون لما يسمى التقابل الإشاري أثر حاسم في فهم بعض الأفعال الشائعة الاستعمال مثل يأتي و يذهب و خذ وهات ويعطي و يأخذ ...الخ فيها جانب إشاري يتحدد به معناها[3] .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 21 .

[2] - محمود عكاشة ، النظرية البرغماتية اللسانية (التداولية) ، ص 85 .

[3] - انظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص ص 22 ، 23 .

1-3-3-4- الإشاريات الخطابية : " في الفقرة السابقة " ، " فيما يلي " ، "في هذه الرواية " ، " فيما سبق " ، هذه إشاريات نصية تنظيمية تحيل إلى أجزاء في النص أو الخطاب ، وتسعى إلى تنظيم و تحقيق السبك و الحبك فيه[1].

وقد يبدو طبيعيا أن تستعار إشاريات الزمان و إشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب ، فكما يقال : " الأسبوع الماضي "،يمكن أن يقال :" الفصل الماضي من الكتاب " أو " الرأي الماضي " ، وقد يقال :" هذا النص للإشارة إلى نص قريب ، أو (تلك القصة) إشارة إلى قصة بَعُد بها القول" [2].

1-3-3-5- الإشاريات الاجتماعية : وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين و المخاطبين من حيث هي علاقة رسمية ، أو علاقة أُلفة و مودّة [3].

من نحو : "السيد" ، "حضرة"، "عمّاه" ، "أستاذي الفاضل"... و ما إليها ما تضع المشار إليه في مكانة اجتماعية بالنسبة إلى من يستخدمها [4] .

فالعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنّاً و مقاما من المتكلم كاستخدام (أنتم) للمفرد المخاطب تبجيلا له أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما ، واستخدام (نحن) للمفرد المعظم نفسه . وهي تشمل أيضا الألقاب ، مثل فخامة الرئيس ، الامام الأكبر ، جلالة الملك ، سموّ الأمير ، فضيلة الشيخ [5].

2- البعد الاجتماعي :

رغم أن التداولية ترتكز على المقصدية إلا أن هذه الأخيرة لا تتجلى إلا بتوضيح الجانب الاجتماعي للغة ضمن الاتصال اللغوي في مقام معين ؛ ونظرا لارتباط الفعل الكلامي ، أو فعل التلفظ تحديدا بفاعله فإن القصد يختلف من متكلم لآخر تبعا للسياقات المختلفة لإنجاز الحدث الكلامي ، رغم انتماء المتكلمين للغة ذاتها ، من هذا يتضح دور معطيات المقام اللغوية و

[1] – بهاء الدين محمد مزيد ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية ، القاهرة ، شمس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010 ، ص 71 .

[2] – بهاء الدين محمد مزيد ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، ص 24 .

[3] – محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 25 .

[4] – بهاء الدين محمد مزيد ، تبسيط التداولية ، ص 73 .

[5] –محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 25 .

الاجتماعية و الثقافية في الوقوف على المعنى الذي هو القصد من إنتاج المتكلم للسلسلة ، فاجتزاء النصوص و تحليل بمنأى عن سياقاتها يوقع في اللبس و عدم تمثل المقصود منها . وهو ما يلح علينا للتفصيل بعض الشيء في هذا الجانب ، ولتسلط الضوء فيما يخص الظروف المحيطة بالحدث الكلامي(السياق) مرورا بمتداوليه ؛ المتكلم و المخاطب :

2-1- السيـــاق :

أولت بعض الدراسات الحديثة و بخاصة عند بعض علماء اللغة الغربيين اهتماما خاصا بالسياق، فقد عرضت مدرسة لندن ما يسمى بالمنهج السياقي أو المنهج العلمي ، و كان زعيم هذا الاتجاه فيرث (firth) الذي أكّد على الوظيفة الاجتماعية للغة ، و الذي تبلور اتجاهه فيما عرف باسم النظرية السياقية ، كما ضم هذا الاتجاه أسماء أخرى مثل هاليدي Halliday سينكلر sinclair، ميتشال Mitchell ، ليون Lyon .

يؤكد فيرث في هذه النظرية بأن : " المعنى لا ينكشف إلاَّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي وصفها في سياقات مختلفة " [1]، فالمعنى عنده يفسر باعتباره وظيفة في سياق .

وتعتبر نظرية السياق واحدة من نتائج البحث الدلالي ، فعندما تدرس أحوال اللفظ ومادته اللغوية يكون ذلك بمثابة تمهيد لإعطاء هذا اللفظ بعده في النص أو بعبارة أخرى يمثل السياق دراسة الوحدة اللغوية في الواقع العملي ، فمعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو "استعمالها في اللغة" أو "الطريقة التي تستعمل بها" أو"الدور الذي تؤديه"[2].

ويجدر الذكر أن من بين روافد هذه النظرية الانثروبولوجيا ؛ حيث تأثر فيرث بالأنثروبولوجي البولندي مالينوفيكي B Malinowski الذي عرف عنه أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة .

كذلك كان التأييد للنظرية السياقية من جانب علم النفس و الفلسفة فقد أيّد الفيلسوف Vitgenstein كون معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة ، لذلك فهم (الفلاسفة) يقومون بتحويل السؤال : ماذا تعني (س) ؟ إلى كيف تستعمل (س) ؟ [3].

---

[1] – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط 4 ، 1993 ، ص 68 ، نقلا : Fowler : ANote ص 418 ، وينظر : Semantic Fields ص 174 .

[2] –المرجع نفسه ، ص 68 .

[3] – انظر : المرجع السابق ، ص ص 71 ، 72 .

ويقول برترند راسل بنفس الصدد : " الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما ، لكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله ، الاستعمال يأتي أولا ، حينئذ يتقطر المعنى منه" [1].

و يلاحظ هنا من كلام راسل أنه يولي اهتماما كبيرا للجانب الاستعمالي في اللغة حيث يجعل منه الأصل في خلق و تحديد المعاني ، هذه المعاني التي تتسم بالغموض و الضبابية لولا الاستعمال الذي يكشف عنها . وهو ما عبّر عنه د. المهدي عزيل بقوله : " فتحديد المعنى ونقله من معنى إلى آخر ، وهو خارج السياق أمر لا يتماشى و طبيعة اللغة التي هي في حقيقتها استعمال "[2].

كما أن من اللغويين من اعتبر المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي من هؤلاء اللغوي أولمان الذي صرّح بأن : " المعجمي يجب أن يلاحظ كل كلمة في سياقها ، بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي INOPERATION (أي في الكلام) ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام ، و نسجله على أنه المعنى أو (المعاني) للكلمة "[3] .

وحول تحديد السياق للدلالة يقول فندريس : " الذي يعيّن قيمة الكلمة إنما هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرّة يستعمل فيها في جوٍّ يحدّد معناها تحديدا مؤقتا ، و السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها "[4].

والحديث عن السياق ليس بجديد في الدرس اللغوي العربي فقط أشار إليه علماؤنا العرب منذ القديم و إلى أهميته ، فعرضوا إلى المقام و تطلّبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه ، فقالوا :" لكل مقام مقال " ، وتفطّنوا إلى أهمية السياق في الوصول إلى المعنى النحوي الدلالي فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف ، و التقديم و التأخير ، و لا ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصّها في مواقف مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة و سذاجتها ، فالسياق إذن متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما [5] .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 72 ، نقلا : Meaning and Style ص 09 .

[2] – المهدي إبراهيم عزيل ، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، ليبيا ، أكادمية الفكر الجماهيري ، دط ، 2011 ، ص 06.

[3]– أحمد مختار عمر ، المرجع السابق، 72 ، نقلا : New Trends ص 133 .

[4] – ج . قندريس ، اللغة ، تر : عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، العدد 1889 ، ط1 ، 2014 ، ص 231 .

[5] – انظر : محمد حماسة عبد الطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، ص 98 .

لذلك ركّز النحاة على اللغة المنطوقة ، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم و ما أراده من معنى ، والمخاطب و ما فهمه من الرسالة ، و الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي . وقد وقف ابن جني على أهمية سياق الحال أو المقام ، إذ يرى أن من فوائده : " الوقوف على المعنى و تحديد دلالة الكلمات ، ودفع توهم الحصر ، ودّ المفهوم الخاطئ ..."[1] .

2-1-1- مفهوم السياق :

وقبل تحديد مفهوم السياق كمصطلح لا بد من التعريج على موقعه في اللغة :

2-1-1- لـغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور : " ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا ، وسائق وسوّاق، وقوله تعالى " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد "[2]، قيل في التفسير سائق يسوقها محشرها ، وفي الحديث " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ؛ هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه و اتفاقهم عليه . و المساوقة : المتابعة كان بعضها يسوق بعضا ، و قد انساقت و تساوقت الإبل إذ تتابعت ، لذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة . و يقال له السياق أيضا و أصله سواق ، قلبت الواو ياء لكسرة السين ، و هما مصدران من ساق يسوق "[3].

وفي تاج العروس : " أصل السياق سواق ، قلبت الواو ياء لكسرة السين ، و السّاقة جمع سائق ، وهم الذين يسوقون الجيش و يكونون من ورائهم ، وساق الماشية سوقا وسياقة بالكسر ومساقا وسياقا ، واستاقها و أساقها فانساقت فهو سائق و سوّاق ، ومنه قوله تعالى

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾[4] "[5].

وفي أساس البلاغة : " ومن المجاز يسوق الحديث أحسن سياق ، و إليك سياق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا ، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده "[6].

---

[1] – ابن جني، الخصائص ،تح : محمد علي النجار ، بيروت عالم الكتب ، ط 3 ، 1983 ، ص 231 .

[2] – ق /61 .

[3] – ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990 ، المجلد 10 ، مادة (س و ق) ، ص 166 .

[4] – القيامة / 29 .

[5] – الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مصطفى حجازي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1966 ، مادة سوق ، ص 474 .

[6] – الزمخشري ، أساس البلاغة ،دار الكتب المصرية ، دط ، 1922 ، ج 1 ، مادة سوق ، ص 468 .

مما سبق يتبين أن المعاني في مادة (س و ق) متقاربة لا تخرج عن حقل القيادة و الإحاطة .

2-1-2- اصطلاحا :

يندرج مبحث السياق في الدرجة الأولى من التداولية حسب تصنيف فرانسواز أرمينكوا ، و يتراوح النظر إليه بين الوحدة و التنوع حسب الباحثين التداوليين ، و لئن اندرج السياق في الدرجة الأولى فإنه لا ينفك يتوسع كلما مررنا من درجة إلى أخرى في التداولية . وسنأتي إلى ذلك بشيء من التفصيل لاحقا .

ويعرّفه هاليداي تلميذ فيرث " هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية " [1].

حيث أنه يرى أن النص و السياق وجهان لعملة واحدة ، السياق أسبق في الواقع العملي من النص أو الخطاب المتصل به .

وانطلاقا من مفهوم ستالكنيز و جاك للتداولية بعدها دراسة ارتباط القضايا بالنسبة للسياق فإنهما يحدّدانه على أنه : " مفعول الأعمال اللغوية السابقة و علّة الأعمال اللغوية اللاحقة "[2]،بمعنى أن كل عمل لغوي يغيّر السياق أو يُوجده ، من ذلك أن السؤال يكلّف المخاطب رسميا بالإجابة .

ويركز أولمان على عناصره في قوله بأن السياق "ينبغي أن يشمل لا الكلمات و الجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة فحسب ، بل و القطعة كلها ، و الكتاب كله ، كما ينبغي أن يشمل لكل ما يتصل بالكلمة ، من ظروف و ملابسات ،و العناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن "[3].

و يعرفه جون ديبوا ضمن الطرح التداولي " السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة ، وهي

---

[1] – يوسف نور عوض ، علم النص ونظرية الترجمة ، مكة المكرمة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1410 هـ ، ص 29 .

[2] – صابر حباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، سوريا ، دمشق ، دار صفحات للدراسات والنشر ، ط 1 ، 2011 ، ص 150 ، نقلا : Op . cit . loc . cit

[3]– ستيفن أولمان ، دور الكلمة في المعنى ، تر: كمال بشر ، النيرة ، مكتبة الشباب ، دط ، د ت ، ص 57 .

المعطيات المشتركة بين المرسل و المرسل إليه و الوصفية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينها " [1].

ومن اللغويين العرب :

يعتبر تمام حسان لغة الفن أو الإبداع في حد ذاتها سياق حيث يقول أنها : " قوة فاعلة تعطي للأجزاء دلالات أو فعاليات خاصة ، ومعنى ذلك أن هناك حركة خلق مستمرة وتكييفاتها " [2].

ونراه في هذا التعريف يركز على أهمية السياق في خلق المعاني و جعل اللغة في تغيير مستمر .

أما شكري عباد يعرفه بقوله : " السياق هو كل ما يصاحب الكلمة من وقائع ، إلا أن هذه الوقائع لا تجرد الكلمة تجريدا من الدلالة " [3].

فهو يرى من خلال هذا القول أن السياق يؤثر في المعنى و يوجّه الدلالة لكنّه لا يسلب الكلمة تماما من معناها الموضوعي .

و يعرفه الدكتور عبد الله الغذامي :" السياق هو المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول و يكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي " [4].

فهو يعتبر السياق خلفية للقول يفهم بمقتضاها الفعل الكلامي ، و منه يشير إلى عملية التواصل لا تتحقق الغرض منها وهو إدراك مادة القول دون إدراك لدور الموقف الكلامي الذي يحتضن الملفوظ .

2-1-2- أنواع السياق :

وهكذا تتطلب دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظرية السياق تحليلا للسياقات و المواقف التي ترد فيها ، حتى ما كان منها غير لغوي ، و لذلك اقترح بعضهم تقسيما للسياق شمل كل ما

---

[1] – سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي مقاربة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، 2011 ، 2012 ، ص 25 ، نقلا : Jean Dubois , Distionnaire de linguistique et des Sciences du langage larousse 2 eme Edition 1999 , p 116 .

[2] – تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1994 ، ص 350 .

[3] – شكري محمد عياد ، اللغة و الإبداع مبادئ علم الاسلوب العربي ، ط 1 ، 1988 ، ص 128 .

[4] – عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط6 ، 2006 ، ص 11.

يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية و ظروف اجتماعية و خصائص وسمات ثقافية و نفسية و غيرها [1] .

و على هذا اقترح K. AMMER تقسيما للسياق ذا أربع شعب :

2-1-2-1_ السياق اللغوي : وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجماعة متجاورة و كلمات **أخرى** ، معنى خاصا محدّدا ، و يشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق، ونحو ذلك .

فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام ويتصف بالاحتمال ، على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق ، ولا سيما السياق اللغوي ، هو معنى معين له حدود واضحة و سمات محددة غير قالبة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم .

فكلمة (عين) يتبيّن ما تحمله من معانٍ مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه ، فقولنا :

_ عين الطفل تؤلمه : العين هنا هي الباصرة .

_ في الجبل عين جارية : العين هي عين الماء .

_ هذا عين العدوّ : هنا عين الجاسوس .

_ ذاك الرجل عين من الأعيان : العين هنا السيّد في قومه[2].

وكلمة (good) الإنجليزية تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لأشخاص أو مواقف أو مقادير ، فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل كانت تعني الناحية الخلقية ، و إذا وردت وصفا لطبيعة كانت تعني التفوق و الأداء ، و إذا وردت وصفا للمقادير كانت تعني الصفاء و النقاوة[3].

2-1-2-2_ السياق العاطفي : هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة ، فهو " الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صِرف ، أو أنه قصد بها التعبير عن العواطف و الانفعالات ، و إلى إثارة هذه العواطف و الانفعالات . ويتضح هذا بصفة خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو : حرية وعدل التي قد تشحن في كثير من الأحيان ، بمضمونات

[1]- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 2008 ، ص 354 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 355 .

[3] - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ،ص ص 69 ، 70 .

عاطفية ، بل إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية ويضرب أولمان على ذلك مثالا بكلمة (جدار) في قطعة شعرية بعنوان " حلم ليلة في منتصف الصيف " :

وأنت أيها الجدار !أيها الجدار الحلو الجميل !

أنت الذي تحول بين بيت أبيها و بيتي .

أنت أيها الجدار !أيها الجدار الحلو الجميل !

ألا تتصدع من أجلي فألمحها بعيني !

لا !أنت أيها الجدار اللئيم الذي لا أعرف من خلاله رحمة .

لعنة الله على كل حجر فيك ، لقد خدعتني ![1].

فكلمة جدار كما هو واضح محملة بما تفيض به نفس الشاعر أو المتكلم من انفعالات فيراه تارة حلوا ، وتارة لئيما ، وواضح أن دلالة الجدار هذا تختلف عن دلالته الموضوعية .

كما يحدد السياق العاطفي أيضا درجة الانفعال قوة و ضعفا ، إذا تُنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب و شدّة انفعال فيستعمل المتكلم ، القتل ، الذبح ، الاحتقار ، الكره ...كما تكون طريقة الأداء الصوتية و الإشارات المصاحبة للكلام كافية لشحن المفردات بكثير من المعاني الانفعالية و العاطفية كأن تنطق و كأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا[2] .

2-1-2-3- سياق الموقف : و يدل على الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ، و العلاقات الزمانية و المكانية التي يجري فيها الكلام ، مثل استعمال كلمة يرحم في مقام تشميت العاطس (يرحمك الله) وفي مقام العزاء (الله يرحمه) ؛ فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ، و الثانية طلب الرحمة في الآخرة ، و قد دل على ذلك سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم و التأخير .

وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السياق ،كما عبّر عنه البلاغيون بمصطلح المقام ، و قد غدت كلمتهم ، " **لكل مقام مقال** " مثلا مشهورا[3]، ومثلها " لكل كلمة مع صاحبتها مقام ".

---

[1] – ستيفن أولمان ، دور الكلمة في المعنى ، تر : كمال بشر ، النيرة ، مكتبة الشباب ، دط ، د ت، ص 58 .

[2]– أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 357 .

[3] – انظر : أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص 71 ، و أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 357 .

وقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام و المقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[1] .

إن ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد و مناسبة ظرفية ، يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري فيها الكلام ، و لذلك يمهد عادة للآثار الأدبية بدراسة البيئة الزمانية و المكانية و الملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأشياء[2] .

2-1-2- 4- السياق الثقافي : ينفرد السياق الثقافي بدور مستقل عن سياق الموقف الذي بتصديه عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية ، لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموما ، و يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد ، فاستعمال كلمة (الصرف) لدى دارسي اللغة العربية و طلابها يعني علم الصرف على حين أن دلالتها عند دارسي الهندسة تختلف عن ذلك فالصرف عندهم مصطلح علمي يشير إلى عملية التخلص من المياه بأي وسيلة ، أما إذا استعملت الكلمة ذاتها في قطاع المال و التجارة فإنها ستدل على تحويل العملة النقدية في الحساب المصرفي إلى التداول الفعلي أو تحويل العملة من فئة إلى أو من نقد إلى آخر .

و كما أن للسياق الثقافي أهمية في الكشف عن الدلالات و تحليل النصوص فإن له أهمية بارزة في الترجمة إذ تتطلب مقتضيات الفهم الصحيح و الدقة العلمية أن يلمّ المترجم بالسياق الثقافي للنص المترجم لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى [3].

2-1-3- السياق حسب درجات التداولية :

2-1-3-1- تداولية الدرجة الأولى : هي دراسة للرموز الإشارية (أي التعابير المبهمة حتما) ضمن ظروف استعمالها (أي سياق تلفظها)

فما هو سياق الدرجة الأولى إذن ؟

[1] – تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 337 .

[2] – أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص 358 .

[3] – المرجع نفسه ، ص ص 359 ، 360 .

إنّه الموجودات أو محددات الموجودات ، و من ثمّ فالسياق الوجودي و الإحالي هم المخاطبون و محددات الفضاء و الزمن .

2-1-3-2- تداولية الدرجة الثانية : هي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها ، في الحالات الهامة ، إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية .

فما هو سياق الدرجة الثانية إذن ؟

السياق بالمعنى الموسع ، عند ستالناكر ، أي أنه يمتد إلى ما يحدس المخاطبون إنه سياق الإخبار و الاعتقادات المتقاسمة ، لا السياق الذهني ، بل السياق المترجم إلى تحديدات العوالم الممكنة .

2-1-3-3- تداولية الدرجة الثالثة : فهي نظرية أفعال اللغة ، و يتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية ، فأفعال اللغة مسجلة لسانيا ، إلا أن هذا لا يكفي لرفع الإبهامات و الإشارة إلى ما أنجز فعلا عبر هذا الموقف التواصلي ، من هذا يجعل وجود أفعال اللغة الضمنية المشكل أكثر تعقيدا و كما يقول شنيل shnelle " فالسياق هو الذي يحدد فيما إذ تم التلفظ الجاد أو الدعابة ، أو فيما إذ سقنا مثالا يشكل تنبيها أو إعطاء أمر " . و نرى من هذا أن مفهوم السياق غني جدا ، أو غير محدّد بالنسبة للحالات السابقة[1] .

وانطلاقا من أن التداولية هي معرفة المخاطب مقاصد المتكلم ،حيث أن " الفعل اللغوي يكون ناجحا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة ، و إذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة "[2]، انطلاقا من ذلك كان لابدّ من التعرف على هذين الطرفين الهامين في عملية التخاطب :

2-2- المتكلم :

تعد اللغة وسيلة من وسائل الاتصال التي يعبر بها كل فرد عن مقاصده ، و لا تظهر تلك اللغة إلى الوجود دون استعمال المرسل لها و تحريرها من الوجود المضمر بالعقل إلى الوجود المعلن بالفعل لذلك يعد المرسل محور إنتاج الخطاب ، فهو الذي يختار العلامات المناسبة من أجل التعبير عن مقاصد و معتقدات معينة ، و بغرض تحقيق أهداف محددة سعيا إلى إشباع رغباته و

[1] – انظر : فرانسواز أرمينكوا ، المقاربة التداولية ، ص ص 38، 39 .

[2] – فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، الدار البيضاء ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، دط ، 2000 ، ص 266 .

اهتماماته ، وكل ذلك من أجل أن يعبر المرسل عمّا يجول في نفسه من غايات و مقاصد يسعى إلى تحقيقها من خلال خطابه ، مراعيا بذلك استخدام العلامات المناسبة في سياقها الملائم لها ، و بما يضمن تحقيق غاياته[1] .

و لقد كان للمتكلم دور بارز في البلاغة العربية القديمة بوصفه منتجا للخطاب و باعثه ، ولأنه وحده الذي يستطيع تحديد الدلالات و مقاصدها ، بل إن المعنى في كثير من الحالات مرتبط بما ينويه و ما يقصده .

غير أن اللسانيات الحديثة في بدايتها كانت متمركزة على بنية اللغة الداخلية دون اعتداد بأيّ من عناصر البنية الخارجية (بما فيها السياق و المتكلم) و ظلت عقودا على هذا الحال و المنظور ، إلى أن جاءت انتقادات تشومسكي الجريئة للمنهج البنيوي الصادر و اعتراض فلاسفة اللغة على بعض آراء اللسانيات البنيوية ، و هناك بدأ الاهتمام بالمتكلم بعدّه أساس فهم المعنى و قصد الدلالة ، فالحال التي يكون عليها المتكلم أثناء أداء الخطاب جزء من تشكيل الدلالة العامة لخطابه[2]

2-3- المخاطب :

يحظى السامع في العملية الإبلاغية بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم ، و لئن كان المتكلم هو منشئ الخطاب و منتجه ، ويَسُمه بكثير مما يميّزه متكلما عن الآخرين ، فإنّ السامع هو من يُنْشَأ له الخطاب ، و من أجله ، و هو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة ، و إن لم تكن مباشرة ؛ فالمتكلم حين يراعي مقام الخطاب ، و أحوال السامع ، وأشكال إلقاء الخبر إليه و أنماط الطلب التي ينشؤها ...و ما إلى ذلك من ظروف الحديث المختلفة فهو إنما يستحضر السامع في عملية إبلاغية ، و لو بصورة ذهنية إن لم يكن عيانا . خلاصة ذلك أن الخطاب كما يحمل الخصائص التمييزية للمتكلم فهو ينبئ بطبيعة السامع الذي أنشئ من أجله ، بل إن الخطاب في ذاته يكون في أغلب الحالات حسب ما يريده السامع لا المتكلم ، و ذلك هي سمة اللسانيات التداولية [3] .

---

[1] – أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية و أثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، ، عالم الكتب الحديث إربد ، ط 1 ، 2015 ، ص 12 .

[2] – خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ، ص 163 .

[3] – المرجع نفسه ، ص ص 175 ،176 .

و الموقف الاجتماعي أو الموقع الوظيفي ، و غيرها يفرض أطرا معينة لابد أن يستجيب لها المرسل ، حين يختار من الأدوات اللغوية ما يعبر به عمّا يريد ، مراعيا بذلك الخصوصية السياقية . فإذا كان الخطاب موجها من رئيس إلى موظف عامل اتسم بالرسمية و الإيجاز دون مقدمات، فنجد المرسِل في الغالب يتحدث بصيغة الجمع، مع استخدام أساليب الأمر، أو النهي، أو التحذير... و التي بدورها تبرز السلطة الاجتماعية . أما إذا كان الخطاب صادرا من زميل إلى زميله فنجده يمتاز بالحميمية مع إمكان الإطالة [1].

3- البعد القصدي :

تؤدي اللغة وظيفتها الأساسية عندما ترتبط بمقاصد المتكلم ، حينما يحملها بالأغراض و الأفكار والمعتقدات التي يروم تبليغها والإقناع بها ذلك أن المقاصد أهم المحتويات القضوية التي تحملها ملفوظات الخطاب .

وترتبط المقاصد بما يقرّره المتكلم في ذهنه ، والتي يسعى من خلال الحدث الكلامي توجيه مخاطبيه إلى إدراكه ، ويحاول جهده أن تكون ملفوظاته أمينة في حمل المعاني ، ويجد المتلقي نفس الصعوبة في فهمها كما قصد المتكلم [2]، يقول الفيلسوف اللغوي التحليلي الأمريكي سيرل : " لكي نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية " [3]، والقصدية مبحث تداولي يندرج ضمن فلسفة العقل ويعد من أهم مباحثها الشائكة التي تمثل إشكالا عميقا ، حيث تربط العقل بالعالم الخارجي ؛ خارج ذواتنا مستعينة باللغة كما تشترك فيها تخصصات معرفية عدّة[4].

ولقد اهتم الباحثون بدراسة القصد و النظرية القصدية قديما وحديثا غربيين وعرب ، فلاسفة ولغويين وأصوليون ، والحديث فيها وفي مسائلها العميقة يطول لذا سنحاول جهدنا بالاقتصار على ما القدر الذي يخدم بحثنا .

---

[1] – أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية و أثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ،ص ص 15، 16 .

[2] – انظر : هشام صويلح ، القصدية ، مبحث فلسفي تداولي من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد الثامن ، ج 2 جوان 2017 ، ص ص 201 202 .

[3] – جون سيرل ، العقل ، مدخل موجز ، تر : ميشيل حنا ميّاس ، عالم المعرفة و العدد 343 ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر 2007 ، ص 141 .

[4] – جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، تر: سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2006 ، ص 29 .

3-1- مفهوم القصدية :

3-1-1- لـغة :

ورد في لسان العرب : " القصد استقامة الطريق ، والقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين ، والقصد إتيان الشيء ، تقول قصدته وقصدت له ، وقصدت إليه والقصد في الشيء خلاف الإفراط ، وهو ما بين الإسراف و التقتير، وقيل سمي القصيد قصيدا لأن قائله احتفل له ، فنقحه باللفظ الجيّد و المعنى المختار "[1] .

وقد ارتبطت دلالة الجذر (قصد) في معاجم اللغة بالمعنى وتأديته ، وقد جاء في أساس البلاغة: "عنيت بكلامي كذا أي : أردته و قصدته " [2] .

وقال ابن منظور في لسان العرب : " لايقال عنيت بحاجتك إلا على معنى قصدتها ، من قولك عنيت بالشيء أعنيه ، إذا كنت قاصدا له ، وعَنَيْتُ بالقول كذا : أردت . ومعنى كل كلام ومَعْناتُهُ ومَعْنِيَّتُه ومقصده "[3]، ولفظ القصد يقابله في اللاتنية : Intendo أو Intentio ، بمعنى الشد أو المدّ أو التوجّه " [4].

وعليه ، فنرى أن المدلول اللغوي للفظ أو القصد يرادف المعنى ، فإذا كان المعنى هو ما تؤديه الألفاظ من دلالات تومئ إلى أشياء محسوسة موجودة في الخارج ، فإن القصد هو الغاية والهدف والغرض والتوجّه الذي يختبئ وراء ذلك الملفوظات الدالة .

3-1-2- اصطلاحـا :

3-1-2-1- في التراث العربي : عنى البلاغيون القدامى العرب بالقصد ، ووعوا لضرورة توافره في الكلام وارتباطه بإرادة المتكلم ، فهذا أبو هلال العسكري يربط المعنى بالقصد الذي أراده المتكلم قائلا : " المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه ، فيكون معنى الكلام ما تعلق به القصد " [5] .

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، اج 3 ، مادة (ق ص د)، ص 353 ،354 .

[2] – الزمخشري ، أساس البلاغة ،مادة (ع ن ي).

[3] – ابن منظور، لسان العرب ، ج 15 ، مادة (ع ن ي)، ص 105.

[4] – دلال وشن ، القصدية من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد السادس ، جانفي 2010 ، ص 02 .

[5] – أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، تح : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1992 ، ص 33.

ولقد أكّد النقاد القدامى على ضرورة أن يتخير الشاعر الألفاظ و الأساليب التي تؤدي قصده وتحقق غرضه لذلك كانوا يمتدحون الشاعر الموفق الذي يهتدي إلى الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عن قصده "[1].

ويلتقي القصد في الشعر بمفهوم الغرض في التراث العربي النقدي ، فحازم القرطاجني يعتبره مرادفا له حيث يقول متحدثا عن مطالع القصائد الشعرية " فملاك الأمر في كل ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته ، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني و الأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقّة وعذوبة ، وكذلك سائر المقاصد " [2].

وقد شاع اصطلاح الغرض عند القدامى للتعبير عن القصد ، لأجل ذلك كانوا في شرحهم للشعر يستحضرون مناسبة القصيدة وأسباب نظمها ، والظروف التي تتعلق بالشاعر ونسبه ومكانته للوقوف على غرض القصيدة ، وكثيرا ما استعملوا لفظ المعنى و الهدف والحاجة والغاية وهم يريدون بها القصد[3].

3-1-2-2- عند الغرب :

سادت نظرية القصد في فكر فلاسفة العصور الوسطى الأوربيون ، وكان القصد عندهم هو فعل العقل لإدراك الموضوع ، أما المقصدية فهي خاصية الشعور في إشارته إلى الموضوع أو في طريقة لإدراكه.

ثم طوّر هوسرل هذه النظرية حتى أصبحت أساسا معرفيا لفلسفته الظاهرية ويقوم مفهوم المقصدية عنده على أن كل فعل من أفعال الشعور البشري فعل قصدي ، أي أن الشعور يقصد المدرَك حسيا ، ويقصد لذاته ، فكل فعل شعوري لديه مدركه الخاص ، وهو لا يفصح عن نفسه إلا حينما يقصد شيئا محسوسا وهو فعل يستخلص معناه من الواقع ويتم التعبير عنه بكلام محدد المعنى يمكن أن يدعى " المقاصد " أو " الغايات " ، حيث يكون إنجاز الفعل آية على حضور الأنا قرب

[1] – انظر : أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة ، مصر ، دط ، 1996 ، ص 152.

[2] – انظر : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تح : محمد الحبيب ، الدار العربية للكتاب ،تونس ، 2008 ، ط2 ، ص 279.

[3] – انظر: ميلود مصطفى عاشور وإياد عبد الله وزين الرجال عبد الرزاق ، القصدية في النص الأدبي ،دراسة لسانية ، الرواق ، مجلة علمية محكمة السنة الأولى ، العدد الأول ، 2015 ، ص 116 ، 117 .

الموضوع الذي هو موضوع مقصدي[1]، والقصدية كما يراها برينكر كلاوس : " هي الشيء الذي يبتغيه المتكلم ، أو الكاتب من عملية التواصل مع المتلقي "[2].

وتعرّف على أنها قدرة العقل في توجيه ذاته نحو الأشياء ، وتمثيلها ، وهي خاصية مميزة للعقل يتجه من خلالها إلى الأشياء في العالم الخارجي ويتعلق بها ، وتكون الحالات العقلية قصدية لأنها تكون حول شيء ما ، أو موجّهة نحو شيء ، وتمثل شيء ، يقول سيرل : " القصدية هي تلك الخاصية للكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها "[3].

وقد كان سيرل من أهم الفلاسفة الذين منحو القصدية بُعدا تداوليا من خلال اهتمامه بقدرة العقل على تمثيل الواقع ومحاولة إجابة عن جملة من الأسئلة أهمها :

- كيف يربط المعنى اللغة بالواقع ؟
- وكيف يحول المعنى الملفوظات المجردة إلى أفعال إنجازية ؟
- وكيف يتكون المعنى في ذهن المتكلم ؟
- وما الذي يُمَكِن المتلقي من فهم قصد المتكلم ؟.

3-2- أنــواع القصــد:

3-2-1- تصوّر غرايس :(Grice)

ويقوم تصور بول غرايس للقصد على التمييز بين نوعين منه ؛ قصد تبليغ محتوى معيّن ، وهو القصد الإخباري ، وقصد تحقيق هذا القصد نتيجة لتعرُّف المخاطب ، وهو القصد التواصلي :

3-2-1-1- القصد الإخباري : أي ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة ليست سوى ما أراده المتكلم من الكلام ، فكل كلام يحمل في الغالب خبرا مضمونا وهذا الخبر سواء توحد أو تعدد إنما يأتي ليبيّن عن موقف خاص من قضية فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تنكيرا وتنبيها ، أو يجهله فيكون تعريفا له وتبصيرا .

---

[1] – سلطان زغلول ، المقصدية نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب ، صحيفة الراي httd://alrai.com ، ص 02,01 .

[2] – انظر : برينكر كلاوس ، التحليل اللغوي للنص ، تر: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2010 ، ص 122 .

[3] – دلال وشن ، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2010 ، العدد السادس ، ص03 ، نقلا : صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل ، دار قباء ، الحديثة ، القاهرة ، مصر ، 2007 ، ص 169 .

وهذا الذي ذكره أصحاب التداولية المعرفية من القصد الإخباري يطابق تمام المطابقة قصد الإفادة في ممارستنا اللغوية العربية ، وقصد الإفادة يقتضي أن يكون المخاطب مبنيا على فائدة محمولة أو مطلوبة وأي تركيب نحوي لابد من أن يرجع إلى تحصيل قدر من الإفادة .

3-2-1-2- القصد التواصلي :أي ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري[1]، يقول جون لايينتز متحدثا عن الدور الرئيسي للقصد في إنجاح التواصل بين المتخاطبين: "لا يتوقف نجاح التواصل على المتلقي الجيد للكلام فحسب ، بل عليه (أي على المتلقي) أن يدرك القصد التواصلي للمرسل ، وأن يتفاعل معه فعليا ، وإدراكيا بشكل سليم " [2].

وحسب سيرل : "هو أن أولّد لدى المستمع المعرفة بمعناي بجعله يتعرف على قصدي في توليد تلك المعرفة عنده" [3]، بمعنى تمكين المخاطب من توليد معرفة أو فهم ، يكسبه قدرة على الوصول إلى مقاصد المتكلم ، ولا يكون هذا إلا ضمن إطار ما يسمى بالتواصل الأمثل الذي يتحقق فيه شروط النجاح.

هذا وقد كان لسيرل تقسيما مغايرا نوعا ما عمّا سبق .

3-2-2- تقسيم سيرل : Searle

حيث قسم القصد إلى :

3-2-2-1- قصد التلفظ : حين يقصد المتكلم عملية التلفظ ، والنطق بجملة ما ، سواء كان يعني ما يقول أو لا يعنيه ، كالتلفظ بمفردات وجمل من لغة مغايرة لأجل التعلم ، أو الدندنة بأغنية ما.

3-2-2-2- قصد المعنى : المتكلم هنا لا يقصد فقط عملية التلفظ بنطق ملفوظ ما ، بل يجب أن يعني ما يقول ، ويكون الملفوظ صادقا أو زائفا بالاستناد إلى ما إذا كان العالم يتطابق مع ما يمثله المتكلم قصديا حين يصدر الملفوظ.

3-2-2-3- قصد التواصل : حيث المتكلم يقصد التواصل بمُتلقٍ ما ، فيجب أن يكون لديه طرف ثالث لقصده في أداء الفعل الكلامي ، وهو القصد المتمثل في أن المتلقي يجب أن يفهم مما

---

[1] - إدريس مقبول ، في تداولية القصد ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 5 ، 2014 ، ص 1211 ، 1212 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 1212 ، نقلا : Lyon, J . (1990) . Elements of Semantics . Volume 29 of Language and Language , Cambridge University , p 35 .

[3] - جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، ص 213 .

يقوله معنى الملفوظ ، هذا القصد الثالث الذي يسميه سيرل القصد التواصلي يجب أن يكون قصدا يتعرف عليه المتلقي في القصدين الأولين ، فقد يكون المتكلم يعد أو ينصح أو يهدد ....، وبهذا يكون الفعل الكلامي – ناجحا إذا فهم المخاطب مقاصد قوة فعل الكلام الذي يلقيه المتكلم[1].

3-3- القصدية والمتكلم :

إن غاية قصد المتكلم هي إفهام المتلقي ، ويشترط ليعبر المتكلم عن القصد الذي يبلغه أن يمتلك اللغة في مستوياتها اللفظية و الدلالية ، وذلك بمعرفته للعلامة بين الدوال و والمدلولات ، وكذلك بمعرفته لقواعد تركيبها ، وسياقات استعمالها [2].

وقد أكدت أبحاث علماء النفس ارتباط كثير من الظواهر اللغوية بالجوانب النفسية . فإذا كان المتكلم شاعرا فإن قصيدته لن تكون إلا تعبيرا عن انطباعاته حول فكرة ما ، أو عن تفاعله مع موضوع ما ، أو تعاطفه مع حالة أو كرهه أو استحسانه أو نبذه للأفكار و الوقائع والممارسات الحياتية ، وهو في كل ذلك يقع تحت طائلة الوعي و اللاوعي اللذان يوجهان مقاصده تبعا لما استقر في قناعاته ، ووفقا لما تمليه عليه حالة التوتر النفسي بجانبيها الشعوري و اللاشعوري[3].

ويرى سيرل المعنى كمفهوم قصدي إلى إرادة المتكلم وليس إلى سلطة اللغة ، فالمعاني يمكن أن تظهر على سطح اللغة ، لكن مقاصدها تبقى في ذهن المتكلم ، وعليه فالمتكلم هو الذي يفرض مقاصده على اللغة[4]، وقصديته تحدد كيفية التعبير عن الغرض وطريقة الوصول إلى الهدف الذي يتوخاه حيث تمثل البوصلة التي توجّه عناصر الملفوظ والخطة التي يرسمها المتكلم والتي تحكم اختياراته وتؤطر لأسلوبه بما يكفل تحقيق الهدف من الملفوظ[5]، لذلك فالقصد يتدخل أيضا في إنشاء المجاز ، من خلال تفكيك العلاقة بين الدال والمدلول وبناء علاقة جديدة تستند على خلفية كل من المرسل والمرسل إليه لمعنى الكلمة ، فعمد طرفا الخطاب منذ البداية إلى تحديد المقاصد والمفاهيم والعبارات حتى تكون الرسالة واضحة[6] .

---

[1] – هشام صويلح ، القصدية مبحث فلسفي تداولي ، ص 206 ، 207 .

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 183 .

[3] – انظر : ميلود مصطفى عاشور وآخرون ، القصدية في النص الأدبي : دراسة لسانية ، ص 127 ، 128 .

[4] – هشام صويلح ، القصدية مبحث فلسفي تداولي من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام ، ص 204 .

[5] – انظر : ميلود مصطفى عاشور وآخرون ، المرجع السايق ، ص 125 .

[6] – انظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص ص 183 ،185.

3-4- القصدية والتأويل :

أشار القدامى إلى خاصيّة قابيلة التأويل للنصوص وتعدد المعنى ، مما يجعل أمر الجزم به أمرا نسبيا، ومن أبرز ما قيل بهذا الصدد :" المعنى في بطن الشاعر " ، حيث تلحق الجملة بعض التفسيرات التي يعلم المفسر أنها مجرد احتمال لا يغلق الطريق على أي تفسير آخر[1].

ولكي يصل المعنى إلى المتلقي لابد أن تتوفر شروط لغوية وتواصلية مضبوطة وهو ما يحقق التفاعل بين أقطاب العملية التواصلية ، فبناءً على تفاعل القارئ لما قصده المؤلف يفتح المجال لتعدد المعنى واختلافه باختلاف القراء ، وثمة يصبح الخطاب تأويليا وقرائيا بامتياز . إلا أن للتأويل ضوابط لا يجب أن يخرج عنها ، أهمها :

- أن يكون المعنى مما يحتمله اللفظ .
- أن يكون على التأويل دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن ظاهره ، ومعيار صحته أن يكون موافقا لوضع اللغة أو أو عرف الاستعمال .
- مراعاة السياق .
- المقاصد : فإذا كنا متيقّنين من مقاصد المتكلم بناء على أدلة واضحة وأبانت البنيات النصيّة على معنى محدد سهل علينا التخريج الدلالي .

وعليه ، فإن المقصدية هي موجه دلالة الملفوظ وهي تتوسط عمليتي الإبلاغ و الإفهام .

ويعتبر القارئ الحكم الوحيد في الوصول إلى حقيقة النص أو الملفوظ و وهذا ما أكده أمبرتو إيكو في كتابه حدود التأويل إذ ميّز بين ثلاث مقاصد :

- مقصدية المؤلف L intentio auctovis .
- مقصدية النص L intentio operis .
- مقصدية القارئ L intentiolectoris[2].

وملخص دعوى أصحاب النظرية القصدية في التواصل أن معرفة الدلالات تعد من قبيل المحال إن لم نرجع كما يقول ستراوسون إلى " ما يكنّه وينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستعمليهم ، فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق من دون شك بالقواعد والتوافقات المتواضع

[1] – محمد عبد المطلب ، النص المفتوح والنص المغلق ، مجلة الموقف الأدبي ، السنة الرابعة و الثلاثون ، العدد 398 ، دمشق ، 2004 ، ص11 .

[2] – علجية مودرع ، اللغة بين الفهم والقصدية ، ندوة المخبر اللسانيات مائة عام من الممارسة Lab.Univ biskra .dz .

عليها تعلقا كبيرا ، غير أن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والتوافقات لا يمكن أن تفهم آخر الأمر إلا بالرجوع إلى مصطلح قصدية التواصل "[1].

3-5- القصدية وأفعال الكلام :

تعد المقاصد محور العملية التواصلية ومركزا في التفريق بين المعنى الحرفي (معنى الكلمات في الملفوظ) وبين المعنى التواصلي ، أي النتيجة التي يقصد المتكلم نقلها إلى المتلقي ، فالمعاني لم تكن في الوحدات اللغوية المستعملة بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الوحدات ويوظفها من أجل تحقيق مقاصد أو من أجل توليد فهم لدى المتلقي[2] .

والفيلسوف اللغوي التحليلي سيرل من أهم الفلاسفة الذين منحوا القصد بُعدا تداوليا ، من خلال اهتماماته بقدرة العقل على تمثيل الواقع ، وربطه للفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام بالقصد .

ولئن كانت نشأة النظرية القصدية فلسفية ، فإن أفقها حتما تداولي لأن البحث في مقاصد اللغة داخل الخطاب هو بمثابة الموضوع الاستشرافي بالنسبة للتداولية و بخاصة في نظرية أفعال الكلام[3].

3-5-1- أفعال الكلام :

تعد نظرية أفعال الكلام إحدى أهم مرتكزات اللسانيات التداولية لما تحويه من رؤى و أفكار مهمة و عميقة كونها تهتم بالتجسيد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع ، و تدرس ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ و إنجاز و تأثير لذلك كلّه لاقت هذه النظرية اهتماما بالغا في حقل الدراسات الحديثة . ومن الذين تصدوا لهذه الفكرة الفيلسوف اللغوي الإنجليزي أوستين Ustin، من خلال محاضراته بجامعة هارفارد في 1955 ؛ حيث نبّه إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة الإخبار ، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو

[1] - إدريس مقبول ، في تداوليات القصد ، ص 1210 ، Treth (Proceedings of the British Academy , Oxford: OxforUniversity Press . Arabic translition in Abdelkader .

[2] - هشام صويلح ، القصدية مبحث فلسفي تداولي ، ص 205 .

[3] - انظر : المرجع نفسه ، ص 201 .

الكذب، وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عن تغيير في وضع المتلقي ، و تأثير في مواقفه[1].

3-5-1-1- تعريف الفعل الكلامي :

اللغة لا تخدم فقط ، لا في البداية و لا بشكل خاص ، تمثيل العالم بل تخدم إنجاز الأفعال ، فالكلام هو أن نفعل ، بمعنى واضح : هو مثلا فعل في الآخرين ، و بمعنى غير ظاهر – و لكنه واقعي – تدشين المعنى و القيام على كل حال بفعل الكلام[2] .

3-5-1-2- تصنيف أوستين : (Austin)

وقد اقترح أوستين خمسة أقسام للأعمال القولية و هي :

1/ الحكميات : تتمثل في الحكم ، نحو التبرئة ، الإدانة ، الفهم ، إصدار أمر ، الإحصاء ، التوقع ، التقويم ، التصنيف ، التشخيص ، الوصف ، التحليل .

2/ التنفيذيات : وتقتضي بمتابعة أعمال مثل الطرد ، العزل ، التسمية ، الاتهام ، التوصية ، الاستقالة ،التوسل ، الفتح ، ، أو الغلق ... ويبدو هذا القسم فسيحا جدا . و يتأسس التمييز بين الأعمال المندرجة فيه و بين الأعمال المندرجة ضمن الصنف الأول ، على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام و لكنها ليست في حد ذاتها حكميات .

3/ الوعديات : إن الوعديات تلزم المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة من مثل : الوعد والموافقة و التعاقد و العزم والنية و القسم و الإذن و التفضيل و إذا وجدت فروق في الدرجة بين التعاقد و النيّة ، فالأمر يتعلق بأعمال من طبيعة واحدة ، التي تحمل على القول الإنشائي الأولي : "سأفعل " .

4/ السلوكيات : وهي أعمال تتفاعل مع أفعل الغير نحو " الاعتذار و الشكر و التهنئة و الرأفة و النقد و التصفيق و الترحيب و الكره و التحريض ..."

5/ العرضيات : و هي تختص بالعرض مثل : التأكيد النفي و الوصف و الإصلاح و الذكر و المحاجّة و القول و التأويل و الشهادة و النقل و التوضيح و التفسير و التدليل و الإحالة .[3]

---

[1] – خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 90.

[2] – فرانسوا أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 09 .

[3] – فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ، ص 62.

و قد توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى اقتراح تصور يكون بمقتضاه قول عملا ، انطلاقا من السؤال : بأي معنى يمكن أن يكون قول الشيء إنجازا تماما ؟ فقسّم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية تؤدي الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ، فهي ليست أفعالا ثلاثة يؤديها المتكلم واحدا تلو الآخر بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد و هي :

أ/فعل القول : **Acte locutoure** ، ويسمى أيضا الفعل اللفظي و هو فعل إنتاج الأصوات و تركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ، و يحمل دلالة معيّنة .

ب/القول الفاعل : **Acte illocutoire** ويصطلح عليه أيضا الفعل الغرضي أو الإنجازي أو الفعل المتضمن ، وهو الفعل الذي ننجزه أثناء القول[1] ، ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال ، كالوعد ، التحذير ، الأمر و النصح ...الخ[2] .

هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمّتها ، و الفرق بين الفعل الأول (فعل القول) و الفعل الثاني (الفعل المتضمن في القول) هو أن الثاني قائم بفعل ضمن شيء في مقابل الأول ، الذي هو مجرد قول شيء .

ينتج العمل اللاقولي (المتضمن) مباشرة عن العمل القولي ، إنها " قيمة" valeur أو "القوة " force إضافة يكتسبها العمل القولي من جرّاء إرادة المتكلم ، لا بطريقة يستنتجها معناه الحرفي بشكل صارم فقد يُتلفظ بالقول ذاته للطمأنة أو التخويف ، للأمر أو الوعد .....الخ [3]

ج/الفعل التأثيري (غير المباشر): **Acte perlocutiore** أو الفعل الناتج عن القول ، الأثر غير المباشر الذي نحققه بالقول ، و يعرف من خلال مفهوم الأثر أو التأثير ، فقول الشيء غالبا يسبب بعد التأثير على المشاعر و الأفكار و تصرفات المستعين أو على تصرف المتكلم ، أو على شخص آخر أيضا ، و كأمثلة على الأفعال التأثيرية هناك : أقنع ، باغت ، أغلب ، أقلق ، أراح ، أوعزى ، أغوى ، أو خدع[4] .

3-5-1-3- مقاييس سيرل الخاصة بتصنيف الأفعال الإنجازية :

---

[1] – جان سيرفوني ، الملفوظية ، تر : قاسم المقداد، دمشق ، إتحاد العرب ، دط ، 1998 ، ص 96 .

[2] – محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 68 .

[3] – فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 59 ، 60 .

[4] – جان سيرفوني ، المرجع السابق ، ص 96 ،

1/ اختلافات بالنسبة لغاية الفعل :وهي تجيب عن سؤال : ماهي الوجهة ، فالوجهة أو الغاية نظام ما هي الحصول على عمل شيء ما من طرف المخاطب ، ويطلق سيرل الوجهة الإنجازية على غاية فعل إنجازي ، وتكّون الوجهة من هنا القوة الإنجازية دون تخطيها .

ويمكن أن يكون للترجي و الأمر الوجهة نفسها مع أنهما لا يمتلكان القوة نفسها

2/ اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات و الأشياء : وهي اختلافات تكون عنصرا من الوجهة الإنجازية لبعض الأقوال ، وتقوم بترتيب حتى تلائم الواقع (أو الضبط لملائمة المضمون القضوي للواقع) ويتعلق الأمر بالنسبة للآخرين ، بالحصول على مطابقة العالم للكلمات لتكن الكلمات الأولى إذن تأكيدات ، والثانية وُعودًا أو أوامر .

3/ اختلافات تمس الحالات السيكولوجية المعبر عنها : حيث أن المتكلم يعبر في القيام بكل فعل إنجاز يمتلك مضمونا قضويا عن موقف تجاه هذا المضمون القضوي سواء كان مخلصا أم لا.

ويرى سيرل أنه لا يمكن أن نقول " أعد لإنجاز "ب" و أنا لا أقوي إنجاز ب "

4/ اختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الإنجاز ، نجد" اقتراح أن نذهب إلى السينما " و " ألح على الذهاب إلى السينما " نفس وجهة الإنجاز إلا أن التعبير الأخير يقدم بقوة مختلفة .

5/ اختلافات مقياس أو وضعية المتكلم و المستمع في حدود حساسية قوة إنجاز لفعل :

إذا كان الجنرال يطلب من الجنود كنس الغرفة فإن هذا بحسب كل الاحتمالات تعدّ أمرا ، أما إذا طلب الجندي من الجنرال كنس الغرفة فمن الممكن أن يكون لك اقتراحا أو طلبا إذ لن يكون ذلك أمرا بالتأكيد .

6/ الاختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول لمصالح المتكلم و المستمع . فإن الاختلاف بين التبجّح و التحبب من جهة ، و التهنئة و التعزية من جهة أخرى يجعل الأولى تمس مصالح المتكلم ، و الثانية مصالح المستمع .

7/ اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب و السياق الخطابي : نجد تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما بباقي الخطاب و بكل السياق المحيط ، هنا نعثر ، أجيب واستنبط و استخلص و اعترض ، وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة ، وأحيانا بالأقوال اللاحقة إذ أنّ الأقوال تأكيدية عامة .

وبالإضافة إلى تأكيد قضية ، فإنه يشار إلى وضعيتها في الخطاب وقيمتها الموضوعية فورا ، من ثم تنجز الروابط ك : " بينما " و بالإضافة و بالتالي ، وظائف روابط الموضوع .

8/ اختلافات المضمون القضوي التي تحددها علامات أو طرق تشير إلى القوة الإنجازية :

يقوم الاختلاف بين الحكي و العرض من جهة و التنبأ من جهة أخرى في توجه لتنبأ إلى المستقبل ، بينما يتجه العرض إلى الماضي أو الحاضر.

9/ الاختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج لسانية في إنجازها وبين تلك التي لا تتطلب ذلك: عديد من الأفعال الانجازية بحاجة إلى مؤسسة خارج لسانية وغالبا ما تكون في حاجة في إنجازها إلى وضعية أو موقف خاص بالمتكلم والمستمع في حضن المؤسسة ويحصل مرارًا أن يعبر أوستين كما لو كان يقدر بأن كل الأفعال الإنجازية هي هذا النمط بينما هي غير ذلك.

فلكي أعد قدومي غدا لن أكون بحاجة إلى اتباع القواعد العامة للغة ، دون استدعاء لمؤسسة خاصة و السارق المسلح يجد نفسه في وضعية إعطاء أوامر .

10/ الاختلافات بين الأفعال أو الأفعال الإنجازية المطابقة لإنجاز ما ، أو غير المتوافرة على ذلك : فنجد أغلب الأفعال الإنجازية استعمالات إنجاز " وعد " ، " أمر " ، " لخص " على ألاّ ننجز فعل التهديد مثلا بتلفظنا لكلمات من قبيل " أنا أقول بتهديدك " بل توجد أفعال إنجازية غير منجزة .

11/ اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي : تستخدم بعض الأفعال الإنجازية للتعليم على ما نطلق عليه الأسلوب الخاص الذي ينجز بموجبه فعل إنجازي ، من هذا لا يوجب الاختلاف بين المطالبة والائتمان على السر بالضرورة اختلاف في وجهة الإنجاز أو المضمون القضوي بل يوجب اختلاف في أسلوب الإنجاز .

12 / أسلوب إنجاز العمل اللغوي (إذا أذاع وباح لا يختلفان في الهدف ولا في المحتوى ، بل في طريقة إنجاز العمل) وهذا المعيار الأخير قريب من معيار كثافة القول ، ويقترب من هذا أنّ الأسلوب لا يتعلق بالقوة اللاقولية ، بل بالأحرى بنمط بث القول .[1]

[1] – فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص ص 63- 65.

3-5-1-4- تصنيف سيرل: (Searle)

فيما يلي اقتراحات سيرل بخصوص أفعال الإنجاز انطلاقا من المقاييس الإثني عشر ، وتشمل على خمسة أبواب هي :

1/ الإخباريات : التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم و حيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى ، مهما كانت درجة القوة ، و مثال ذلك سيأتي غدا .

2/ الطلبيات : حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل و حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات و حيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النيّة ، و قد أخذ سوى هذا القسم عن أوستين و المثال عليه سوف آتي .

3/ الوعديات : حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل وحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النيّة . وقد أخذ سيرل هذا القسم من أوستين ومثال ذلك : سوف آتي .

4/ الإفصاحات: أو (التعبيريات) حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمّة نيّة صادقة ، و حيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يسند المحتوى خاصيّة إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب ، و هذا إجمالا السلوكيات في تصنيفية أوستين، ومثال ذلك قولك " اعذرني " .

5/ التصريحيات : حيث يكون الهدف إحداث واقعة ، حيث التوافق بين الكلمات و العالم مباشر، دون تطابق مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية و مثال ذلك " أعلن الحرب عليكم"[1] .

3-5-1-5- الفعل الكلامي في حروف المعاني :

أما في اللغة العربية فظاهرة الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي تحدث عنها سيرل موجودة بكثرة بفعل وفرة الأدوات الدالة على القوى الإنجازية المختلفة ، والتي سمّاها النُحاة " حروف المعاني " ، وهي التي تُثري العربية بأساليب كثيرة متنوعة ، وتمدها بطاقة تعبيرية هائلة ، كدلالة "رُبّ " على التقليل و " كم الخبرية " على التكثير ، ودلالة " ليت " على التمني ، و" لعل " على الترجي ، ودلالة " هل " على الاستفهام ، ودلالة "إنّ وأنّ " على التوكيد ،

[1] – فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 66 .

ودلالة " نِعْم " على المدح و " بئس " على الذم ، ودلالة " الواو والباء " على القسم ، ودلالة " ألا " على العرض ، و" هلا " على التحضيض ؛ وهذان الأخيران نوعان مختلفان للطلب يحكمهما مبدأ " درجة الشدة للغرض المتضمن في القول " كما أن التوكيد نوع للخبر يختلف عن القسم و الشرط ، ويحكم الجميع نفس المبدأ الذي تحدث عنه سيرل ... وهكذا بقية الأدوات المسماة عندهم " حروف المعاني " .

وقد اهتم العلماء بهذه الأدوات وعقدوا لها أبوابا خاصة في كتب النحو[1]. وبالنظر إلى الأهمية التي تكتسبها قال المرادي : " لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبيناً أكثرها على معاني حروفه صُرِفت الهمم إلى تحصيلها و معرفة جملتها ، وقد كثر دورها وبعد غورها ، فعزت على الأذهان معانيها ، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها "[2] .

3-6- الاستلزام الحواري :

يعد الاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم التي تقوم عليها التداولية و الذي يعرف بأنه " ما ستتبعه الكلام ضمنا في التحاور " [3] ، وهو مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب التي تأخذ معها البحث اللساني منحى متميّزا ، إذ لم يعد الأمر معها يُعنى بوضع نظريات عامة لعملية الخطاب و إنما انصب

الاهتمام على العملية في حد ذاتها ، وقد ظهر هذا المفهوم مع غرايس الذي حاول أن يضع نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب ، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب ، فهو يؤكد أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نُظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات ، نقترح ما يلي :

1- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل المتكلم في علاقته بمستمع .

2- المقام الذي تنجز فيه الجملة .

---

[1] – مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية ، ص 97 .

[2] – الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، دار الكتب العلمية ،تح: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص 19 .

[3] – رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ انموذجا ، دط ، 2014 ، ص 215 .

3- مبدأ التعاون [1]، وقد بلوره غرايس في بحثه الموسوم " المنطق و الحوار " ويقصد به :" ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده ، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله و فهمه"[2].

وقد صاغه على النحو التالي :

" ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه "[3].

وقد تفرّع عن هذا المبدأ عدد من المبادئ الرئيسية على النحو الآتي :

أ/ مبدأ الكم : تكلم على قدر الحاجة فقط (القدر الذي يضمن تحقيق الغرض من التخاطب)، لا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب .

ب/ مبدأ الكيف : لا تقل ما تعتقد كذبه ، لا تقل ما يعوزك فيه دليل بيّن .

ج/ مبدأ الأسلوب: تجنب إبهام التعبير ، تجنب اللبس، أوجز كلامك (تجنب الإطناب الزائد)، ليكن كلامك مرتبا .

د/ مبدأ المناسبة : ليكن كلامك مناسبا لسياق الحال .

وتبدو أهمية هذه الأسس في أن المتلقي يفترض أن المتكلم يتبعها ، ولذا فإن استنتاجاته مَبْنِية على هذا الافتراض. فإذا قال المتكلم القولة (أ) فيستنتج المخاطب _ بناء على مبدأ الكم _ أن ليلى لم تأكل كل الخبز. وذلك لأنه لو كان المقصود هو أنّ ليلى أكلت كل الخبز لصرّح المتكلم بذلك لأنّه ملتزم بحكم مبدأ الكم ، أن يتكلم على قدر الحاجة التي تفي بالغرض من المحادثة

(أ) أكلت ليلى بعض الخبز .

(ب) لم تأكل ليلى كل الخبز .

وهكذا فإنّ المفهوم التخاطبي (ب) لم يفهم من المعاني الوضعية للجملة (أ) ، إذ ليس في هذه من المعاني المعجمية ، أو القواعدية ، أو التركيبية أو الأسلوبية ما يمكن أن يعزى إليه ذلك المفهوم ، كما أنّه ليس استنتاجا منطقيا من (أ) لأنّه ليس تضمنا ، أو افتراض اشتمل عليه ، بل هو استنتاج

[1] – العياشي أدواري ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، الرباط ، دار الأمان ، ط1 ، 2011 ،ص ص 17 ، 18 .

[2] – انظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، . ط1 ، 2004 ، ص 96 .

[3] – طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2000 ، ص 103 .

مستمد من أصول التعاون التي تحكم عملية التخاطب ، و على وجه التحديد فهو قضية يستلزمها اتباع مبدأ الكم[1] .

يقترح غرايس تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معانٍ صريحة و معانٍ ضمنية :

أ/المعاني الصريحة : هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي :

– المعنى القضوي :وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد .

– القوة الإنجازية الحرفية : وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبح الجملة بصبغة أسلوبية ما : كالاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والتوكيد ، والنداء والإثبات والنفي .

ب/المعاني الضمنية : هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ، و لكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها ، وتشمل مايلي :

–معاني عرفية : وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معيّن، مثل معنى الاقتضاء .

–معاني حوارية :وهي التي تولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة ، مثل الدلالة الاستلزامية [2] .

4– البعد الإقناعي :

يعرّف توماس شايدل thomas schoidel الاقناع على بأنه " محاولة واعية للتأثير في السلوك " ، ويرى أوستين فريلي Austin frely الحجاج والاقناع جزئين من عملية واحدة ولا خلاف بينهما إلاّ في التوكيد ، يولى الحجاج الدعاوي المنطقية أهمية خاصة ، ولكنه يجعل من اختصاصه أيضا الدعاوي الأخلاقية والعاطفية ، وأما الاقناع فإنه ينعكس على التوكيد الذي يبطل ضده[3].

[1] – محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2004 ، ص ص 49، 50 .

[2] – مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية،ص ص 34 ، 35 .

[3] – محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، مجلة جذور ، العدد21 ، 01سبتمبر 2005،ص ص 244– 248 .

والحجاج عند برلمان وتيتيكا هو :" درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذاك التسليم "[1].

والاستمالة أو الموالاة هي العنصر الأهم الذي بنيت عليه تعريفات أخرى من أهمها تعريف ريك Reike وسيلارز Sillars ، ويعرف هذان الباحثان الحجاج بأنه " عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء المدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوى

وتبرز تعريفات أخرى كون الحجاج فعلا لغويا أو عملية اتصالية أو حدسا من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته على نحو مانجد في تعريف أوتس ماس Uts Maas و ديبو اشيفري Deborah SHiffrin، وكل من هايمان Heinemman و وفيغيجر Vihureger.

فالحجاج عند كل من هايمان وفينيجر عملية اتصالية ، هي ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعلل الفرضيات والدوافع والاهتمامات .

تلك نماذج من أهم تعريفات الحجاج ، دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى.خلاصة تلك التعريفات أنّ الحجاج جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية ، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا ، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[2].

وانطلاقا من الفكرة الشائعة التي مرادها " إننا نتكلم عامة بقصد التأثير " جاءت نظرية الحجاج في اللغة التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفلد ديكرو O.Decrot . التي تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية.

وفيما يلي أهم الآليات اللغوية والبلاغية والشبه المنطقية التي تستعين باللغة لتوفير الحجة :

[1] – عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ،دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر ، تونس ، ط1 ،2011، ص 13 .

[2] – محمد العبد ، النص الحجاجي العربي، ص 241.

4-1- الآليات اللغوية :

4-1-1- ألفاظ التعليل :

تعدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجيّ، وبناء حججه فيه ، ومنها : المفعول لأجله ،وكلمة السبب ولأنّ ، إذ لا يستعمل المرسل أيّ أداة من هذه الأدوات إلاّ تبريرا أو تعليلا لفعله بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض[1].

4-1-1-1- المفعول لأجله : ويسمى أيضا المفعول له وهو :" مصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي: على بيان علته)، ويشارك عامله في وقته وفاعله "[2].

ومثال على ذلك : كثرة العتاب تُذهِب الودّ وتوغر القلوب ، لذا فأنا أتغاضى على هفوات صديقي حفاظا على مودته .

فالمتكلم أراد أن يقنع المتلقي بأهمية التغاضي في أخطاء المقربين وعدم الإكثار من عتابهم لكي لا يذهب وِدهم ويوغر قلوبهم فأورد حجته التي تبرر دعوته وهي الحفاظ على المودة .

النتيجة : التغاضي عن الهفوات . الحجة (السبب): الحفاظ على المودة .

الرابط الحجاجي : صيغة المفعول لأجله .

4-1-1-2- لام التعليل : من أدوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علّة لما قبلها ويقال لهذه اللام لام العلة، لام السبب ولام كي؛ لأن معنى التعليل فيها راجع إلى معنى الاختصاص ،فإذا قلنا :جئتك للإكرام ، دلّت اللام على أن المجيء مختص بالإكرام ، إذ الإكرام سببه دون غيره[3] .

فهذا الرابط يستعمله صاحب الخطاب من أجل التبرير أو التعليل لفعله فهو نتيجة الدعوى والثمرة التي يقصدها المرسل ، فهو إذن من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجة لدعم النتيجة وتعليلها [4].

النتيجة : جئتك . الحجة: الإكرام . الرابط الحجاجي : لام التعليل .

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 478.

[2] – عباس حسن ،النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، دار المعارف ، مصر ، ط3،د ت، ج 2 ، ص 237 .

[3] – الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 109 .

[4] – أحمد يحياوي السعد ، ورائد مجيد جبار، آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام علي ، مجلة العميد ، المجلد 3، العدد2، 2014، ص116.

4-1-1-3- لأنّ : تعد(لأن) من ألفاظ التعليل ، بل هي من أهمها ، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها أثناء تركيبه ، وتستعمل لتبرير الفعل ، كما تستعمل لتبرير عدمه ، ومن ذلك تبرير ابن مبارك لعدم اغتيابه النّاس ، فقد قيل له : " أنك لتحفظ نفسك من الغيبة ، : " لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي لأنها أحقُ بحسناتي ".

إذ يرمي في هذا الخطاب إلى إقناع المرسل إليه بالسبب الذي جعله زاهدا في اغتياب الناس، وبهذا يتقرر أن الرابط السببي (لأن) يمكن أن يستعمل في الحجاج بغض النظر عن فعل الكلام المنجز ، فقد يكون في إثبات كما قد يكون في النفي[1].

النتيجة : تحفظ نفسك من الغيبة . الحجة : حرصه على عدم هدر حسناته .

الرابط الحجاجي : لأن .

4-1-1-4- كي : الناصبة للفعل المضارع ، " حرف مصدري ونصب واستقبال ، تفيد سببية ما قبلها فيما بعدها "[2].

مثال عليها تبرير الوالد لولده : – لماذا تتعب نفسك يا أبي ؟ لماذا لا تستريح ؟

-كي لا أشعر بالملل والوحدة[3].

فالوالد استعمل الرابط الحجاجي (كي) ليبرر عدم ركونه للراحة (النتيجة) بحجة دفع الملل والوحدة (الحجة أو السبب).

4-1-1-4- لفظ سبب : وتمهد للحجة بعدها تعليلا لما قبلها ،ومن ذلك قول ابن خلدون :" الفصل السادس عشر : في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوّة إلى قوتها ، والسبب في ذلك أن القبيل إذ حصل علم الملك والتّرف كثر التناسل والوَلَدُ والعمومية ، فكثرت العصابة ،واستكثروا أيضا من الموالي والصنائع ، ورُبِّيت أجيالهم في جوِّ ذلك النعيم والرّفه ، فازدادوا به عددا إلى عددهم ، وقوّة إلى قوَّتهم ، بسبب كثرة العصائب حينئذٍ بكثرة العدد "[4] .

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص478.

[2] – إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، دار الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1983، ص 436.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ،ص479.

[4] – ابن خلدون ، المقدمة ، تح : عبد الرحمان محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، ط1، 2004 ، ج1، ص342.

إذ يمهد ابن خلدون بكلمة (السبب) حجته التي يسوقها ، وبالتالي فإن هذا التمهيد يفضي إلى أن ما وراءه حجته على دعوى (أن الترف يزيد الدولة في أولها قوّة إلى قوّتها)[1].

الدعوى أو النتيجة : الترف يزيد الدولة قوة ... الرابط الحجاجي : لفظ السبب

الحجة : القبيل إذا ....كثر التناسل ...فكثر العصابة ...

4-1-1-5- الوصل السببي: من أدوات التعليل التي يعمد المخاطب إلى الإتيان بها للربط بين أحداث متتابعة مثل الربط بما يمكن ، أن يكون المقدمة والنتيجة فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى[2] .

وهذا الربط السببي التعليلي يمنح النص بعدًا اتساقيًا وتماسكيًا بفعل مبدأ الاستدراج في إيراد الحجج ، ومن ثم يعطي النص البعد التواصلي وسرعة الاستجابة والتأثير، وقد يعتمد الوصل السببي على نوعين من الأدوات السببية هي اللفظية الدالة على السبب والتعليل مثل :الفاء، لأن، وحيث.

وأما النوع الآخر من الأدوات فهي الأدوات المقدرة التي تتمثل برد العلاقات السببية المنطقية الناتجة عن التعالق بين الجمل أو الحجج ، وهذا ما أسماه جان كوهين ب(الربط بالقران)[3].

مثال :" وكان أبو عبد الرحمان الثوري يجلس مع ابنه يوم الرأس ، ويقول :" إيّاك ونهم الصبيان ، فقد قال بعض الحكماء إذا كنت نهِما فعُدِّ نفسك من الزمني ، واعلم أن الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السّقم والسّقم داعية الموت "[4].

فالبشم هو نتيجة الشبع ، ولكنه مقدمة حجاجية لحصول السقم ، وبما أن السقم هو نتيجة للبشم، فإنه يصبح هو المقدمة لحصول الموت ، وعليه فإن الوصل بين المقدمة الأصل والنتيجة هو وصل تتابعي بين الشبع بوصفه العلة الأساس والموت بوصفه نتيجة له ، كل هذا من وجهة نظر الأب.

وقد أوردها أبو عبد الرحمان الثوري بهذا التسلسل عندما استطاع أن يربط بينها ربطا يشبه الربط المنطقي في الخطاب ، لئلا يتعدى باستنتاج من المقدمة التي يراها إلى نتيجة الكلية دفعة

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص479.

[2] – المرجع نفسه ،ص480.

[3] – أحمد يحياوي السعيد ورائد مجيد جبار ، آليات الحجاج اللغوي في رسائل الإمام علي ، ص 120-121.

[4] – ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، تح : عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ج 7، ص 205 .

واحدة لأن ذلك صعب إقناعا لابنه ، وأهون حجة عنده فهو صغير لا يمتلك القدرة على طيِّ بعض المقدمات

للوصول إلى النتائج عن طريق الربط بين الشبع والموت بصورة استدلالية تلقائية ، وهذا ما يعنيه أبوه، مما حدابه إلى التفصيل في الأمر[1].

4-1-2- التركيب الشرطي : قد يرد التعليل السببي في التركيبي الشرطية الظاهرة ، وذلك أدعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى ، مثل خطاب مرثد الخير للإصلاح بين سُبَيع بن الحارث وبين مِيثَم بن مُثوَّب إن قال لها :"...فإنه إذا سفكت الدماء ،واستحكمت الشحناء ، وإذا استحكمت الشحناء تقضت عرى الإبقاء ، وشمل البلاء "[2].

إذ كانت حجة من الحجج الأولى مقدمة ظاهرة تستتبع نتيجة ، فتصبح النتيجة مقدمة لما بعده ، فسفك الدماء هو مقدمة النتيجة التي هي استحكام الشحناء لتصبح مقدمة للنتيجة التي بعدها وهي تقضب عرى الإبقاء وشمول البلاء ، وهكذا ، ويمكن بناء على هذا التسلسل الشرطي الظاهر الربط بين أول مقدمة وآخر نتيجة في الخطاب ، فيصبح سفك الدماء هو مقدمة عرى الإبقاء وشمول البلاء.

كما يرد الحجاج في التراكيب الشرطية المضمرة ، والتي تتضح من خلال العلاقة المنطقية المتلازمة بين طرفين.

والربط بين المقدمة والنتيجة بالانتقال من إحداهما إلى الأخرى في تسلسل معين وباستعمال لأدوات لغوية معنية ، هو ما يسميه ببرلمان وزميله " بالحجة التداولية "، وهي الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث ، وذلك بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو الغير المرغوبة ولهذا فإن الحجة التداولية تضطلع بدور مهم في تثمين الأعمال ، سواء في وضعها الحاضر أو في وضعها المستقبلي ، ولا يقتصر دورها على ذلك ، بل يتجاوز المرسل بها على توحيد السلوك والفعل المستقبلي[3].

4-1-3- الأفعال اللغوية :

يرى (فان إيميزن وجروتندورست) أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج ، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات مقاربة لغوية تداولية ، ص480.

[2] - المرجع نفسه ، ص 480 ،نقلا عن : أحمد زكي صفوان ، جمهرة خطب العرب ،ج1، ص10.

[3] - المرجع نفسه ، ص ص 480 ،481 .

الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري ، إن لم يكن كلها ليعبر عن وجهة نظره وليحد موقفه من نقطة الخلاف ، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء ، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند إقناعه بأنها لم تعد صالحة كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه ، وكذلك لتأسيس النتيجة[1] .ويريان أن الهدف من الخطاب هو الفيصل لوصف الخطاب بأنه خطاب حجاجي من عدمه ، فالهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المرسل إليه في وجهة النظر محل الخلاف ، ولهذا فقد تتبعا دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها (سيرل) ، إذ وجدا أن بعضها ذو دور حجاجي ، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدّور .

ويعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا ، وهو ما يتوصل به الكثير في فعلهم ، إذ" إن طرح السؤال يكمن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم "[2].

مثل قوله تعالى : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

جاءت الآية في سياق طلب المشركين لمعجزة مثلما أوتي به المرسلون السابقون من معجزات، وهو بيان حجاجي يصور فيه الله سبحانه وتعالى عناد المشركين وكفرهم ، فحتى لو اعطاهم عز وجل ما يقترحون لن يؤمنوا والحجة تتعلق بالأمم السابقة التي منحت ما أرادت ولكنها لم تؤمن ، والنتيجة ههنا أنه حتى لو اعطي الكفار ما أرادوا فإنه لم يؤمنوا ، ولو أرادوا الإيمان لاكتفوا بالمعجزات التي أيّد بها رسول الله ، فالبنية الحجاجية ارتبطت ههنا بالتمثيل بالأمم السابقة التي كان لها ما أرادت من المعجزات ولكنها لم تؤمن فهلكت[4] .

---

[1]- المرجع السابق ، ص482 ، نقلا عن : Frans H. Van Eemeren and Rob Grootenddorst. Analyzing argumentative discourse

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص ص 483 – 484 ،نقلا عن : محمد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير . .

[3] – الأنبياء / 06 .

[4] – عبد الحليم بن عيسى ، البيان الحجاجي في إعجاز القرائن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا ، مقال مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد 120 ، 2006.

وقد يكون الحجاج من خلال استعمال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري حسب مايقتضيه الاستلزام الحواري ،فالأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه ، وأقوى حجة عليه وكذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر ،كما في هذه الأسئلة الموجهة للمدخن يريد المرسل من خلالها إقناعه بالإقلاع عن التدخين :

- هل تسمي أو تذكر الله عندما تشرب الدخان ؟
- هل تشرب السيجارة باليمين أم باليسار ؟
- أتقول الحمد لله عندما تنتهي من السيجارة ؟
- أهناك مأكول ، أو مشروب غير الدخان عندما تنتهي منه تطأه بحذائك ؟
- أ شرب الدخان من الصفات الحميدة التي تود أن يأخذها عنك أولادك ؟

يدرك المرسل هذا مسبقا أن المرسل إليه لا يخالفه إلى حد كبير، فهي مسلمات يعرفها كل من طرفي الخطاب ، وهذا ما يجعله يختار هذا الضرب من الحجج دون غيره وإلاَّ فبإمكانه أن يستعمل الأسلوب التقريري فالمضمون واحد ، بالرغم من وضوح الاختلاف في طريقة عرضه .

وتكمن قوة الحجاج في هذا الاختلاف التداولي ، وفي الحدس بمدى استجابة المرسل إليه لما يريد أن يقنعه به. والاستفهام هنا هو الحجج ذاتها ،كما أنه فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه وفق ما يقتضيه السياق خصوصا بالترتيب الوارد أعلاه ،الذي يؤدي بالمرسل إليه إلى التسليم المرة بعد الأخرى ، والتنازل عن معتقداته السابقة شيئا فشيئا والمرسل يدرك ،كما يدرك المرسل إليه أن هذه الأسئلة ليست استفهاما عن المجهول ، إذ لا يجهل المرسل شيء من هذه المعارف، ولهذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط .

وما قلناه عن الاستفهام من أنه حجج بالقصد التلميحي ينسحب أيضا على النفي بعده من أهم الأفعال اللغوية وأقواها حجاجا[1].

4-1-4- الحجاج بالتبادل :

يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعيتين ينتميان إلى سياقين متقابلين ،وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات ،كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه ، وما يهم هنا هو إقناع المرسل بتطبيق قاعدة العدل ، وذلك مثل قول الموظف

[1] – انظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 486 .

لما يطلب منه عملا لا يستطيعه : ضع نفسك مكاني .وفي تبادل النصح : الحقيقة مُرّة كالدواء ، ولكنها مفيدة[1].

4-1-5 الوصـــف :

ويشمل الوصف عددا من أدوات اللغوية منها : الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول ، وفيما يلي عرض لكل منها مع بيان مواطن الحجاج فيها .

4-1-5-1- الصفـــة : النعت أو الصفة في اللغة :" تابع يكمل متبوعه بمعنى جديد ، ويكمل السياق ويحقق الغرض ، ومن أشهر أغراضه : الإيضاح أو التخصيص أو مجرد المدح والذم "[2].

وتعد الصفة من أدوات الحجاج إذ اطلقت لإقناع المرسل إليه ، فلا يقتصر المرسل على توظيف معناه المعجمي ، أو تأويله ، بل ينبغي التقويم والتصنيف ولاقتراح النتائج التي يريد حصولها أو فرضها مثال على ذلك :- تحطمت طائرة استطلاع بدون طيار عند مرتفعات عندما كانت تقوم بعملية روتينية ، فإسناد وصف (روتينية) للعملية يزيل أي شبهة أو تساؤلات حول العملية التي قامت بها الطائرة[3] .

4-1-5-2- اسم الفاعل : وهو " اسم مشتق يدل على معنى مجرد ، حادث ، وعلى فاعله"[4].

ويعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجه المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريده ، لتبنى عليه النتيجة التي يرومها فمن يبتغي الناس به تحصيل الفائدة ، وما يذهبون إليه من وصف شارون بأنه :" مجرم حرب " ، فالمجرم هو اسم الفاعل مسوغ من فعل رباعي ، لم يستعمله الناس لمجرد الوصف فهم لا يخبرون هذا بل يحاججون الآخرين ، ليلزم عن هذا الوصف تصنيف (شارون) في إطار معين ، وإدراجه ضمن فئة معينة لها قانونها وجزاؤها في العرض الدولي ، لعله يلقى عقابه الذي يتناسب مع ما يستلزمه وصفه[5].

---

[1] -المرجع السابق، ص 486.

[2] – عباس حسن ،النحو الوفي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، ج3 ، ص434.

[3] -انظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص ص 486- 488 .

[4] – عباس حسن ،النحو الوافي ، ج3، ص 238.

[5] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص ص 488-489.

4-1-5-3- اسم المفعول : وهو " اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير دائم ، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى "[1]. ويصنف اسم المفعول على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة وكذلك مثل من يجأر بالشكوى إلى غيره : أنا مظلوم أنصفوني ، إذ وضع نفسه في مرتبة تستدعي طلبه الإنصاف من الآخرين .

4-1-6- تحصيل الحاصل :

هناك من يعد بعض الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لأقدم شيئا في الخطاب ، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية ، من ضروبه :

أ- يحيل المرسل إلى ذهن المرسل إليه السمات اللازمة للدال والمعروفة عنده، دون أن يصرح بها، لأن المرسل إليه يدرك حجة المرسل ولا يقتصر التحصيل على نفس السمات فحسب بل يتجاوز إلى توظيفها في السياق الذي يشير إليه، مثل قول زهير بن أبي سلمى:

وما الحرب إلاَّ ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم**

إذ يحيل إلى سمات الحرب المعهودة عندهم وهي سمات: الدمار، قطع النسل، ثكل الأولاد، رمل الأمهات...إلخ. والتعبير على هذه الشاكلة أبلغ في الأثر التداولي (الإقناع)، كما ينتمي إلى هذا النوع .

ب- الإحالة بما هو مبهم في أداته اللغوية باستعمال إحدى أدوات الإبهام وهي الاسم الموصول (ما) نحو(عقلت من الأمر ما عقلت ...) فالحجاج هنا يمكن بما ينطوي عليه الخطاب من أمر هام لم يرد أن يفصح به المرسل، ليكون عدم الإفصاح أقوى حجة من الإفصاح.

ج- من مظاهره أيضا الحجاج بالحشو، وهو ما يأتي عبر اسم مبهم ينتمي إلى صنف الإشاريات وذلك بالضمير (هو) مثل الطفل هو الطفل.

ويفهم من هذا الملفوظ أن (الطفل) الأولى المقصود منها الطفل، أما (الطفل) الثانية يقصد بها فعله، أو براءته أو ....حسب السياق الذي قيلت فيه .

ويذهب بيرلمان وتيتكا إلى أنه من الخطأ أن نعتقد ثبات المعنى لهذه التعبيرات، ومن الخطأ أن نعتقد أن العلاقات بين هذين اللفظتين هي ذاتها لا تتغير، ومن صوره أيضا:

د- التلفظ بلفظ واحد، إلا أنه يحل محل أكثر من لفظ مثل: هذه أمك!

[1] - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج3، ص 271.

من مظاهره أيضا:

هـ- تكرار العبارة نفسها:

ويحدث هذا في النقاشات لإثارة الاستغراب (أو الحث ، أو التنبيه) وهو لا يندرج ضمن باب التكرار اللفظي، أو الترف الكلامي، بل أن المتغير هنا هو الأثر التداولي الذي يريد المرسل تحقيقه، وعليه، فليس هناك تكرار أو ترادف في الحجاج[1] .

4-2- الآليات البلاغية:

لا يرى بيرلمان أي فرق بين البلاغة والحجاج مادام هدفهما واحد، هو الاقناع والتأثير على حد سواء، وأكثر من ذلك، فالبلاغة حجاجية بامتياز ويعني هذا أن الصورة البلاغية والمحسنات البديعية ذات وظيفة حجاجية ليس إلاَّ، ومن ثم يقترن اسم بيرلمان بالبلاغة الحجاجية [2]

4-2-1- تقسيم الكــل إلى أجزاء : ينص هذا الصنف من الحجج على تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له وبيان أن حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزائه ، ينطبق تبعا لذلك على الكل، مما يكسب الكل قوة حجاجية ، فكل جزء منه دليل على دعواه[3] .

4-2-2- الاستعــارة : يعد القول الاستعاري آلية حجاجية بامتياز ، إذا كانت الاستعارة الشعرية تمتلك السامع أكثر مما ترغمه ، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتصارا [4]، ويرى ميشال لوجيرن:" قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي "[5].

فكلمة " نسر" عندما تدل على طائر هي أقل مدحا مما إذا وصفناه بها شخص آخر ، وخلاصة الأمر أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهداف حجاجية ، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا[6].

---

[1] – انظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص ص 489-494 .

[2] – انظر :جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة ،إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب،2014 ، ص29 .

[3] – سامية دريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط2 ، 2011 ، ص 207 .

[4] – عبد السلام عشيتر ، عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د ط ، 2006 ، ص 11 .

[5] – ميشيل لوجيرن ، الاستعارة والحجاج ، مجلة المناظرة ، ع4،ص 87.

[6] – أبو بكر العزاوي ، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة ، مجلة الناظر ،المغرب ،سنة الثانية ، ع4، ماي 1991،ص 81.

4-2-3- الكنـــاية : الكناية في البلاغة العربية هي :" لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي "[1]، ويحدها عبد القاهر الجرجاني : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم طويل النجاد ، يريدون طويل القامة"[2].

وبلاغة الكناية تكمن في التعبير عن الحقائق المصحوبة بدليلها متبوعة ببرهانها مؤثرة في تركيبها، أدت وظيفتها الحجاجية لإسكات المخاطب وإقناعه ،فلا المتكلم أوردها صراحة ولا المتلقي يسعى لتخطي تصوره ، فضلا عن زيادة إثبات المعنى بل ثبات الدليل[3].

فالنجاعة الحجاجية التي للكناية مستمدة كما هو الشأن في الصورة عامة ، من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الاسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني وذلك بالانطلاق من الحكم المصرح به فيها[4] .

4-2-4- التمثيـل : هو عقد صلة بين صورتين ، ليتمكن المرسل من الحجاج وبيان حججه[5] ،حول أثر التمثيل في المعنى وتقوية الحجة يرى الجرجاني أن :" التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة ..... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ...فإن كان مدحا أبهى وأفخم ...وإن كان ذمًا كان مسه أوجع ..وإن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر "[6].

فالتمثيل هو المثال الذي يحذى عليه ، والمقياس الذي يقاس عليه غيره ، فهو حجة تقوم على المشابهة بين الحالتين في مقدمتهما ويراد استنتاج نهاية أحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتهما ويتصف بكونه تشكيلا تصويريا يتوسل به لأغراض ومقاصد أهمها الإقناع والدفع نحو إنجاز الفعل .

وقد كثر ورود في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت :﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا**

---

[1] – مجدي وهبة كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ،ط2 ،1984 ، ص 310 .

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دط، دت ، ص66.

[3] – انظر: علي بعداش ، الأبعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي الشريف ، مجلة العلوم الاجتماعية ،ع24، جوان 2014، ص 156.

[4] – انظر : عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ،ط2، 2007، ص 576.

[5] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ،ص 497.

[6] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص ص92- 94 .

﴿يَعْلَمُونَ﴾[1]، فشبه أولياءهم ببيت العنكبوت المعروف بوهنه وضعفه ، ليستنتجوا أن دينهم هو أوهن الأديان[2] .

4-2-5- البديع : ليست المحسنات البديعية مجرد تلاعب لفظي كما يراها البعض في خدمة المضمون ، وقد تعرّض البلاغيون القدامى والمؤرخون إلى أهمية علم البديع ،وقيمته بين علوم البلاغة يقول حاجي خليفة بهذا الصدد: " علم يعرف به وجوه تفسيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام.....وأما منفعته فإظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن ويتعلق بالقلب"[3] .

ومن الخطأ الاعتقاد أن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية إذ أن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب ، ولكن بهدف الاقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد ، من ذلك ما روي عن الفضيل بن عياض :" قيل للفضيل بن عياض : ما أزهدك ؟ قال :أنتم أزهد مني، قيل : كيف؟ ، قال : لأني في الدنيا وهي فانية ، وأنتم تزهدون في الآخرة وهي باقية ".

استعمل ابن العياض المقابلة بين الدنيا فانية ، والآخرة باقية فجمع في هذا التركيب بين الزخرف اللفظي والحجة ولا يكون البديع حجاجيا إلاَّ إذا كان استعمالها طبيعيا في ذلك الموقف ، أما إذا لم يحقق الكلام إذعان المرسل إليه لهذا الشكل الحجاجي ، فإن الصورة تعد من الزخرف ، أي صورة أسلوبية [4].

4-3- الآليات شبه المنطقية:

4-3-1- السلم الحجاجي: تتجلى العلاقة المجازية بين الدعوي والحجة ، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما ، وذلك بالرغم من أنها تتجسد بطبيعة الحال ، من خلال الأدوات اللغوية فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها ، إذ لا يثبت غالبا ، إلاَّ إن الحجة التي تعرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنه تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه ، هذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي[5]، والذي يمكن التعريف بأنه :"عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين :

---

[1] - العنكبوت / 41.

[2] - سحر أحمد رامي ، التمثيل وأبعاده الحجاجية في القرآن الكريم ، مقال :www.mk.ip، 2016/10/23.

[3] - مصطفى الصّاوي الجبويني ، البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ،دط ، 1985 ، ص 179.

[4] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ،ص 499 ، نقلا : أحمد بن محمد الميداني : مجمع الأمثال ، ج 2 ، ص 548 .

[5] - المرجع نفسه ، ص ص 499 ، 500 .

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

ب-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]، ويمكن التمثيل لهذين الشرطين بما يلي:

1/ حصل زيد على الشهادة الثانوية .

2/ حصل زيد على الشهادة الإجازة .

3/ حصل زيد على الشهادة الدكتوراه .

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية ، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمونة ، من قبيل " كفاءة زيد " أو مكانته العلمية . ولكن القول الأخير هو الذي يسرد في أعلى درجات السلم الحجاجي ، حصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي قوى دليل علة مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية ، ويمكن الترميز لهذا السلم كمايلي :

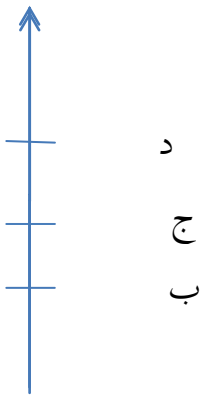

وأهم قوانين هذا السلم ما يلي :

1/ قانون الخفض : إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها .

2/ قانون تبديل السلم : إذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله .

[1] – طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1998 ، ص 277.

[2] – أبو بكر العزاوي ، اللغة الحجاج ، منتديات سور الأزبكية ، الدار البيضاء ، ط1، 2006 ،ص 21 .

3/ قانون القلب : إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين ، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[1] .

4-3-2- الروابط والعوامل الحجاجية :

تعد اللغة ذات طبيعة حجاجية من خلال بنيتها لذلك يعد الحجاج مؤشر أساسي وهام لها ، وذلك من خلال روابط وأدوات هي :

4-3-2-1- لكن : هو حرف استدراك - ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها ، يخالف المحكوم عليه قبلها ، كأنك لما اخبرت عن الأول بخبر ،خفت أن يتوهم من الثاني ذلك فتداركت بخبره ، إن سلبا ، وإن إيجابا ، ولذلك لا يكون إلاَّ بعد الكلام ملفوظ به ، أو مقدر ...ولا تقع لكن بين متنافيين ، بوجه ما...[2]، وقال الزمخشري : لكن الاستدراك توسطها بين كلامين متغايرَيْن نفيا وإيجابا ، فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي كقولنا : ما جاءني زيد لكن عمر جاءني ، وجاءني زيد ولكن عمرا لم يجيء[3]، ومن هذا المنطق فإن هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين ، هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطي والنتيجة ، ويشير الوصف الحجاجي الذي يقدمه أصحاب النظرية الحجاجية للأداة لكن إلى[4] : أن التلفظ بأقوال من نمط " أ لكن ب" يستلزم أمرين :

- أن المتكلم يقدم " أ " و "ب" باعتبارهما حجتين ، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن"، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي " لا-ن ".
- أن التكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى ، باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته[5]، ومن هذا الوصف نجد أن وظيفة " لكن " ومثلها " بل " تعمل على قلب الفرضية بينما يتقدم الرابط وما يتبعه ، فما سبق الرابط " لكن " يتضمن حجة (أ/ ظاهرة) تخدم نتيجة ضمنية مضادة (لا-ن)للنتيجة السابقة (ن) ، وهنا يكون دور الربط الحجاجي (لكن) في

---

[1] - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 2000 ، ص 105-106.

[2] - الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، دار الكتب العلمية ،تح: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992 ،ص 591 .

[3] - الزمخشري ، المفضل في علم العربية ، تح : فخر الدين قباوة ، دار عمار ، عنان ، الأردن ، ط1 ،2004 ، ص 303-304.

[4] - أحمد يحياوي السعد ، رائد مجيد جبار ، آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام علي ، ع4، مج3، 2014 ، ص89.

[5] - أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص58.

الربط بين القضيتين المتنافيتين من جانب ، ومنح الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها ، بدون شك ، أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرابط[1] .

4-2-3-2- بل : وهي من الحروف الهوامل ، ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني[2] ، ولذا فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلا مثل (لكن) ، ولهذا الرابط حالان:

الأول: أن يقع بعده مفرد.

الثاني: يقع بعده جملة فإن وقع بعده مفرد فله حالان :

أ/ أن تقدمه أمر وإيجاب نحو : أضرب زيد بل عمرو و قام زيدا بل عمرا. فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه لا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده .

ب/ وإن تقدمه نفي أو نهي نحو : قام زيد بل عمرو و لا تقرب زيدا بل عمرا .فإنه يكون لتقرير حكم ، حكم الأول وجعل ضده لما بعده أي إثبات الثاني ونفي الأول أما إذا وقع بعد " بل " جملة يكون معنى الإضراب :

- إما الإبطال نحو : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[3].

- وإما الإنتقال من غرض إلى غرض نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[4].

ويتضح أن " بل" تعمل عمل" لكن " في المنحنى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والإضراب والإبطال ، فضلا عن وظيفتها في إفادة معنى التساوق[5] .

4-3-2-3- حتى : من أدوات السلم الحجاجي ، ويكمن دورها في ترتيب منزلة العناصر ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلمية ، فأولها[6]:

---

[1] - أحمد يحياوي السعد ، رائد مجيد جبار، المرجع السابق، ص 90.

[2] - الرماني ،كتاب معاني الحروف ،تح : عبد الفتاح إسماعيل شبلي ، دار الشروق ،جدة ، السعودية ، ط2 ،1981 ، ص 94 .

[3] - المؤمنون / 71 .

[4] - الأعلى / 14، 15،16 .

[5] - أحمد يحياوي السعد ، رائد مجيد جبار ، آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام علي ، ص 89.

[6] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب ، ص 517.

أ / **حتى الجارة** : ومعناها للغاية ، كقولنا : قام قوم حتى زيد ، فتقدر مرة تقدير مع ومرة تقدير إلى ، وعلى هذا نقول : أكلت السمكة حتى رأسها[1]، فالرابط الحجاجي يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي : " أكلت السمكة "،" وأكلت رأسها " ، وهما تخدمان نتيجة قبيل : "أكلت السمكة كلها" : أو" لم أبق منها شيء " ، ولكن الحجة الثانية " أكلت رأسها "التي وردت بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله[2].

ب / **حتى العاطفة** :وتكون بمعنى الواو وتعطف الاسم على الاسم فقط ، ومن شروطها ، أن يكون المعطوف بها إما بعضا من جمع قبلها ...وإما جزءا من الكل ...أو كجزء من كل[3]، ومن شروطها أيضا أن تكون غاية لما قبلها إما في زيادة أو نقص وزيادة تشمل القوة والتعظيم والتقصي يشمل الضعف والتحفيز ، وقد اجتمعت في قول الشاعر :

قهرناكم حتى الكماة فإنكم ** لتخشوننا ، حتى بنينا الأصاغرا .**

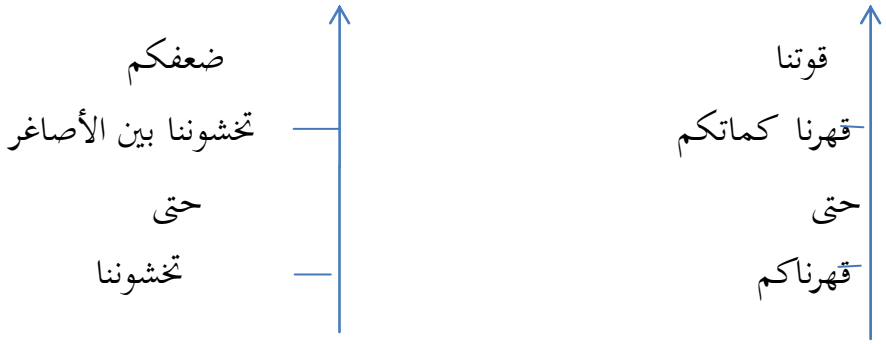

[1] – الرماني ،كتاب معاني الحروف ،تح : عبد الفتاح إسماعيل شبلي ، دار الشروق ،جدة ، السعودية ، ط2 ،1981 ، ص 119 .

[2] – أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 71.

[3] –أيميل بديع يعقوب ، معجم الإملاء والإعراب ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1983 ، ص 299– 240 .

4-3-2-4- فضلا عن : تعد عبارة " فضلا عن "من الأدوات التي يعمد المرسل الى استعمالها لترتيب الحجج في سلم حجاجي[1]، نجد ابن الأثير عندما كان يتحدث عن المجاز إذ يذم بعض أنواعه بقوله:

" وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلاَّ بمسائل الجبر لا المقابلة أو بخطوط الرمز من القبض الداخل والقبض الخارج والبياض والحمرة وغيرها ، ولئن كان معناه دقيقا يدل على فرض ذكاء فأني لا أعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ، ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرهما من اللغات في عدم الفهم"[2]

فدعواه هي بشاعة ذلك الصنف من المجاز ، بل وبرودته ، وقد رتب حججه في سلم واحد بواسطة فضلا عن ، فجعل ما قبلها (لا أعده من اللغة العربية) في أعلى السلم ، وأردف ذلك بحجة أدنى منها أوردها بعد (فضلا عن) وهي : أن يوصف بصفات الكلام المحمودة .

بشاعة وبرود بعض الأنواع المجاز

لا أعده من العربية .

فضلا عن.

لا يوصف بصفات الكلام المحمود[3].

4-3-2-5- غني عن القول : تعد من أهم الروابط النحوية في الربط بين القضايا ، كما في الخطاب التالي : " ولم يكن الشيخ ليزور أو يزار في المناسبات ، ولم يكن يقرأ الجرائد أو يسمع إلى الراديو ، وغني عن القول أنه لم يذهب في حياته إلى السينما أو المسرح ، كما لم يخرج لحوال

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 512.

[2] – المرجع نفسه ،ص 514 ، نقلا : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج 3 ، ص 109، 110.

[3] – المرجع السابق ، ص514.

الثلاثين عاما الأخيرة من حياته لنزهة أو لرؤية متحف أو حديقة ...إلخ ، ولعله رأى الأهرام أول قدومه القاهرة ، وهذه حجج على جد الشيخ وحفظه للوقت"[1].

لم يذهب في حياته إلى السينما أو المسرح.

وغني عن القول أنه .

لم يكن يقرأ الجرائد.

لم يكن يزور أو يُزار.

فاستعمل المرسل عددا من الحجج للدلالة على ملازمة الشيخ لبيته وحرص على عمله ، ولكنه رتبها في السلم الحجاجي ، وذلك بأن استدل بالخطاب الواقع بعد (غني عن القول) وهو (أنه لم يذهب في حياته إلى سينما أو مسرح) ليكون الحجة الأقوى ، وباستعماله هذه الأداة المرتبطة بالخطاب السابق ، فقد وضع الحجج الأخرى في مراتب دون مرتبة هذه الحجة ، إذ تمثل لأدلة أضعف منها قوة[2].

4-3-2-6- أفعال التفضيل : وهو اسم مشتق ، على وزن " أفعل " يدل في أغلب الأحيان على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه ، فالدعائم أو الأركان التي تقوم عليها التفضيل الاصلاحي في أغلب الأحيان حالاته ثلاثة :

أ- صيغة " أفعل " وهي اسم مشتق .

ب- شيئان يشتركان في معنى خاص.

ج -زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص .

ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرا حميدا أو ذميما[3] .

ولاسم التفضيل ثلاثة أقسام : **أ)**- المجرد من الاضافة ، **ب)**- المقترن ب" ال"، **ج)**- المضاف ، ويستعمل القسم الأول بشروطه ، ذاكرا المفضل منه ، مثل : العدل أفضل من الظلم .

---

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع نفسه ، ص 508 ، نقلا : جمال البنا ، السنوات الأخيرة للشيخ الوالد ، جريدة الشرق الأوسط ، ع 8424 ، الجمعة 06 شوال 1422هـ / 21 ديسمبر 2001 ، ص 22.

[2] - المرجع نفسه ، ص 509 .

[3] - عباس حسن ، النحو الوافي ،ج3، ص 395.

فيعدل المرسل عن ذكر المفضل منه تحديدا في كثير من الأحيان بلجوئه إلى استعمالات أخرى تفي بالغرض ، مثل استعمال كلمة آخر في المثال التالي : تايد أفضل مسحوق من أي مسحوق آخر[1] .

ولكن المشترك بين الخطابين هو حجاجيته سلميّا ، وذلك بتصنيفه وقت التلفظ بالخطاب وقد يستعمل المرسل القسم الثاني من أفعل التفضيل وهو المقترن ب"**ال**" مثل : منتوجاتنا الأجود.

ومن تمثيلاتها استعمال الألفاظ الدالة على الترتيب مثل : المملكة العربية السعودية الأولى في إنتاج النفط، إذ يقتضي هذا حجاجيا ، أنه تستبق كثيرا من الدول التي تنتج النفط ، وبهذا فإن هذا الخطاب بديل عن الخطابات، مثل :

– تحتل المملكة العربية السعودية الجدارة في إنتاج النفط.

كما قد يستعمل المرسل القسم الثالث وهو المضاف مثل : الباحثون أنفع الناس لخدمة الوطن .

ومن ذلك خطابات تقويم الأشخاص والأشياء ، إذ يستعمل المرسل اللفظ (أفضل) مضافا إلى المفضل للدلالة على تصنيفه إياه في أعلى السلم ، مثل : الكتاب محمد على مقدس : أفضل كتاب.

ويكمن دور أفعل التفضيل الحجاجي في أنه يتضمن صيغا يمكن للمرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها ، كما أنه من ترتيب الأشياء ترتيبا معينا ، فيدون استعماله ما كان لها أن ترتب ، ولذلك يصنفه بيرلمان في حجاج التعدية[2].

4–3–2–7– القياس الضمني : وقد عرف أرسطو القياس بأنه :" قول يوضع فيه شيء فيلزم شيء آخر "[3] ،ويعتبر القياس الضمني من تجليات الحجاج وهذا ما يسميه أرسطو بالضمير، مثل :

– مات الدكتور عبد العظيم .

– ما سبب موته

– أصيب بسكتة قلبية

– سبحان الله طبيب مختص في أمراض القلب ، ويموت بنفس العلة التي يدواي الناس بها .

– أليس بشرا ؟؟! .

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ،المرجع السابق ،ص ص 526–527 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 528.

[3] – أمال يوسف الغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية ، دار المتوسطية للنشر ، الجمهورية التونسية ، ط1 ،2016 ، ص 321.

– بلى ، ولكن .

وعليه فالنتيجة الحجاجية المضمرة هي : – أنه يموت كل من ينتمي إلى البشر [1].

4–3–2–8– صيغة المبالغة : عرفت المبالغة بأنها :" أن يكون للشيء صفة ثابتة ، فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه فيتدعى له من الزيادة من تلك الصفة ما يستبعد عند السماع ، أو يحيل عقله ثبوته ، وصيغ المبالغة أسماء مشتقة من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتوقيته والمبالغة فيه ، ومن ثم سميت صيغ المبالغة ، وهي تشتق إلاَّ من الفعل الثلاثي"[2].

ويعمد المتكلم إلى صيغ المبالغة عند إدارة تكثير الفعل ، حيث يمكن تحويل صيغ الفاعل إلى صيغة أخرى محولة من بنائه للدلالة على تكثير الحدث والمبالغة فيه ، والمتكلم يلجأ إلى توظيف صيغة المبالغة كأداة حجاجية في خطابه تمكنه من بناء سلمه الحجاجي الذي يريده ، نظرا لما تحمله هذه الصيغ من سمة الترتيب في أصل بناءها الصرفي إضافة إلى معنى التكثير والزيادة الذي تقيده الصيغة والذي يوظف حجاجيا في السياق[3] ، ومثال : هذا سكير فعاقبوه ، إذ استعمل وزن فعيل ليسوغ بها طلب العقاب له ، وليس لوصف درجة تكرار فعله وحسب[4].

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص 529 .

[2] – علي بهاء الدين بن خدود ، المدخل الصرفي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، دار النشر والتوزيع ،ط1 ، بيروت ، 1988 ، ص 84.

[3] – أمال يوسف الغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية ،ص 184.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص 530.

ثانيا: المتشابه اللفظي :

بدأ الاهتمام بعلم المتشابه اللفظي منذ عهد الصحابة والتابعين ، وقد ورد في ذلك عدّة روايات أبرزها:

– رواية من حديث القاسم بن عبد الرحمان بن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " عن اسم الله الأعظم – الذي إذا دعي به أجاب – في ثلاث سور من القرآن ، في البقرة وآل عمران وطه " قال القاسم : طلبت هذا الاسم فوجدته في آية الكرسي " الحي القيوم " وفي فاتحة آل عمران " الحي القيوم " وفي طه " وعنت الوجوه للحي القيوم " .

– رواية من حديث علقمة بن قيس و الأسود بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنه " إنّي لأعلم آيتين من كتاب الله لا يقرأهما عبد عند ذنب يصيبه ثم يستغفر ففتحنا المصحف ، فإذا الآية الأولى من سورة النساء ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [1]، وإذا الآية الآخرة في آل عمران ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ ﴾ [2] فأخبرنا بهما ابن مسعود رضي الله عنه فقال : هما هاتان[3] . وقد بدأ فيه التأليف بما وضعه بعض القراء لإرشاد الذين يحفظون كتاب الله حيث يتحيّر الحافظ أحيانا ، أو ينتقل سهوا من آية إلى آية ، ومن سورة إلى سورة[4]، وأول من صنّف في هذا الفن هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، أحد القُراء السبعة والإمام المعروف في اللغة . وقيل : موسى الفراء ، قاله ابن المنادي ، وقيل مقاتل بن سليمان، والأكثرون على أنه الكسائي ، فقد ألّف كتابه الشهير " متشابه القرآن " ثم تتابعت الكتب نظما ونثرا في المتشابه .

وممن كتب فيه ابن المنادي باسم متشابه القرآن ، والخطيب الإسكافي في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، وكذا ابن الزبير الغرناطي والذي استفاد

---

[1] – النساء / 109 .

[2] – آل عمران / 135 ، 136 .

[3] – عبد القيوم بن عبد الغفور السنْدي ، منظومتان في متشابه القرآن (هداية المرتاب للإمام السخاوي) و(كفاية القارئ للإمام الحارثي) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج17 ، ع 32 ، ذو الحجة 1425 هـ ، ص 427– 428.

[4] – الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرّة التأويل ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، تح: محمد مصطفى آيدين ، ج 1 ، 2001 ، ص 64 .

الكثير من كتاب الإسكافي وزاد عليه وقد عَنْون لكتابه ب(ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) ولا يغيب عن أذهاننا كتاب البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني ، وغيرها من المؤلفات[1].

1- تعريف المتشابه اللفظي:

1-1- لغة : جاءت مادة شبه في اللغة على معنيين : الأول : التماثل ، و الثاني الالتباس .

فمن الأول قوله تعالى ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾[2]. والثاني قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ﴾[3] [4].

وجاء في لسان العرب : الشّبه والشبْه و الشبيه : المثل ، والجمع أشباه و أشبه الشيء بالشيء : ماثله ، وفي المثل : ما أشبه أباه فما ظلم ، والجمع مشابه على غير قياس ، وأشبهت فلاناً وشابهته وأشتبه عليّ [5].

وقال ابن فارس : والمتشابهات من الأمور: المشكلات ، واشتبه الأمران إذا أُشكلا[6].

وورد في أساس البلاغة : تشابه الشيئان واشتبها ، وشبّهته به وشبّهته إياه ، وفي الحديث " اللبن يشبه عليه "[7].

وورد في المعجم الوسيط : اشتبه الأمر عليه : اختلط و- في المسألة : شكّ في صحتها ، تشبّه بغيره ماثله وجاره في العمل . و التشبيه : التمثيل ، إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما[8].

قال الفيروز أبادي : أمور مُشتبِهَة ومشبّهة ، كمعظمة : مشكلة ، والشبه والشبهان : النحاس الأصفر[9].

وفي القاموس الفقهي : شُبّه عليه : لبُس ، وفي القرآن المجيد : ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا**

---

[1] – فوّاز بن سعد بن عبد الرحمان الحنين ، الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد ، دن ، دط ، الرياض ، 1429 هـ ، ص 10 .

[2] – البقرة / 25 .

[3] –البقرة / 70 .

[4] – فوّاز بن سعد بن عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 8 .

[5] – ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، دط ، ج 13 ، ص 503 .

[6] – ابن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الفكر ، تح : عبد السلام هارون ، ج3 ، ص243 .

[7] – الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج1 ، 1922 ، ص 4 .

[8] – مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ص471 .

[9] – الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص 1247 .

﴿ لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[1] ،﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2] ، والاشتباه ، الالتباس ، والمتشابه ، المتماثل[3] .

مما سبق نرى أن مادة (شبه) لاتخرج عن هاته المعاني : الالتباس ، الإشكال، الاختلاط .

1-2- اصطلاحا :

حظي علم المتشابه اللفظي باهتمام عديد العلماء ،وأوردوا فيه مباحث في كتبهم ، بداية بالخطيب الإسكافي مؤسس هذا العلم ، إذ أنه لم يورد تعريفا لهذا العلم إنما أورده في كتابه يقول: "ونتعرّف بهذا العلم على أسلوب القرآن الكريم في تكرير بعض آياته كالكلمات المتفقة والمختلفة ، وحروفها المتشابهة ، بأن تُذكر الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في أكثر من موقع مع اختلاف في جوانب التناول بين موقع وآخر "[4].

وقد اعتبر ابن عقيلة المتشابه اللفظي أحد علوم القرآن ، وقد أورده في كتابه :" في النوع الثالث والعشرون بعد المئة : علم الآيات المتشاكلات المتقاربات " بقوله : " ونذكر في هذا النوع ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضا ، ويكون بزيادة ونقص يدركها أهل الفهم الثاقب "[5] .

ونرى الزركشي يعرفه بقوله : "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص و الأنباء ، وحكمته في الكلام وإتيانه على ضروب ؛ ليعلمهم عجزهم ، عن جميع طرق ذلك : مبتدأ به ، ومتكررا "[6] .

اتفق السيوطي مع الزركشي في هذا بقوله :" هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدّما ، وفي آخر مؤخرا ، أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها ، أو

---

[1] – النساء / 157 .

[2] – النساء / 158

[3] – سعدي أبو حبيب ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، دار الفكر ، ط2 ، دمشق ، سوريا ، 1988 ، ص 190 ، 191 .

[4] – الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرّة التأويل ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، تح: محمد مصطفى آيدين ، ج 1 ، 2001 ، ص 11 .

[5] – ابن عقيلة المكي ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن جامعة الشارقة ، ط1 ، الإمارات العربية المتحدة ، 2006 ، ج 6 ، ص 336 .

[6] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ، البرهان في علوم القرآن ، دط ، ج 1 ، ص 112 .

في موضع معرّفا وفي آخر منكّرا ، أو مفردا وفي آخر جمعا ، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما وفي آخر مفكوكا ، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات "[1].

وقد صاغ الشيخ محمد طلحة بلال تعريفا يراه أقرب للشمولية بقوله :" هي الآيات المكررات في اللفظ بسياقها مع إبدال " [2].

(الآيات) قيد خرج به ما تكرر في غير القرآن .

(المكررات) أي لها نظائر ، وهذا قيد أغلبي ، فربّما يقع التشابه مع عدم وجود نظير ، وغالبا ما يكون هذا في حركات الكلمات .

(في اللفظ) : قيد خرج به ما تشابه في المعنى ، فليس من موضوعنا .

(بسياقها) : أي المكررات بنفس ترتيب حروفها وألفاظها ، وهي على نوعين :

الأول : مثاني الآيات ، وهي الآيات التامة التي تكررت في أكثر من موضع .

الثاني : مثاني الجمل ، وهي ما دون الآية التامة ، ممّا تكرر في أكثر من موضع [3] .

وجاء في معجم التعريفات : هو ما خفى بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا لمقطعات من أوائل السور[4].

2- أنواع المتشابه اللفظي :

2-1- أن يكون في موضع على نظم في آخر على عكسه ، وهو يشبه رد العجز على الصدر : كقوله تعالى في البقرة: ﴿ **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ** ﴾ [5]،وفي الأعراف :﴿ **وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** ﴾[6] ، وقوله في البقرة والأنعام﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾[7]، وفي البقرة ﴿ **وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [8] ، وفي الحج : ﴿ **شَهِيدًا عَلَيْكُمْ**﴾[9].

---

[1] – جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تح : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ،سوريا ، ط1 ، 2008 ، ص 642 .

[2] – محمد طلحة بلال منيار ، إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ ، ط 1 ، 2003 ، ص 93 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 94 .

[4] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، دار الفضيلة ، تح : محمد صدّيق المنشاوي ، دط ، ص 167 .

[5] – البقرة /57 .

[6] – الأعراف / 161 .

[7] – البقرة / 119 ، الأنعام / 71 .

[8] – البقرة / 142 .

[9] – الحج / 76 .

2-2- ما تشابه بالزيادة والنقصان [1]: ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] ، وفي يس " وسواء " بزيادة واو ، لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم(إنّ) وما في يس جملة عُطفت بالواو على الجملة .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[3] وفي غيرها بإسقاط من لأنها للتبعيض ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حَسُن دخول (من) فيها ليُعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السور ، فإنه لو دخلها (من) لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ، ولم يكن ذلك بالسهل[4] .

2-3- التقديم والتأخير : [5] وهو قريب من الأول ومنه في البقرة : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[6]، مؤخر ، **وما سواه** ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [7].

---

[1] – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج 1 ، ص 115 .

[2] – البقرة / 5 .

[3] – البقرة / 22 .

[4] – الزركشي ، المصدر السابق ،ج1، ص 115 .

[5] – نفسه ، ص 120 .

[6] – البقرة / 128 .

[7] – الجمعة / 2 .

2-4- التعريف والتنكير : كقوله تعالى في البقرة :﴿ **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾[1] . ،وفي آل عمران قال تعالى:﴿ **بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾[2] ، وقوله في البقرة :﴿ **هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا** ﴾[3]، وفي سورة إبراهيم قال تعالى : ﴿ **هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا** ﴾[4]، لأنه للإشارة إلى قوله تعالى :"**بواد غير ذي زرع**" ويكون (بلدا) هنا هو المفعول الثاني و (آمنا) صفته ، وفي إبراهيم (البلد) مفعول أول ، و(آمنا) مفعول ثاني[5] .

2-5- بالجمع والإفراد : كقوله في سورة البقرة :﴿ **لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** ﴾[6] ، وفي آل عمران قال عزّ وجلّ:﴿ **مَّعْدُودَاتٍ** ﴾[7].

2-6- إبدال حرف بحرف غيره : كقوله تعالى في البقرة : ﴿ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا** ﴾[8]، بالواو، وفي الأعراف ﴿ **فَكُلَا** ﴾[9] ، بالفاء ، ومنه قوله تعالى في البقرة :﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا** ﴾ [10]، بالفاء ، وفي الأعراف بالواو[11].

---

[1] - البقرة / 60 .
[2] - آل عمران / 21 .
[3] - البقرة / 25 .
[4] - إبراهيم / 37 .
[5] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج1، ص 127 .
[6] - البقرة / 79 .
[7] - آل عمران / 24 .
[8] - البقرة / 34 .
[9] - الأعراف / 18 .
[10] - البقرة / 57 .
[11] - الزركشي ، المصدر السايق ، ج1 ، ص 128 .

2-7- إبدال كلمة بأخرى : ومنه قوله تعالى في البقرة :﴿ **مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾[1] ،وفي لقمان قال تعالى: ﴿**مَا وَجَدْنَا** ﴾ [2]،

وفي البقرة ﴿**فَانفَجَرَتْ** ﴾ وفي الأعراف﴿**فَانبَجَسَتْ**﴾[3].

2-8- الإدغام وتركه : وفي والنساء والأنفال قال سبحانه : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** ﴾[4]، وفي الحشر قال سبحانه: ﴿ **مَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [5].

3- أهميتـــه :

- ترجع أهمية هذا لعلم إلى موضوعه فهو ضرب من تفسير القرآن لذلك فأهميته من أهمية علم التفسير ، فعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي ، لا عمل للبشر فيه مع تنوع استعماله من تقديم وتأخير ، أو حذف أو إثبات ، أو تعريف وتنكير ، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضع الواحد . - وترجع أهميته أيضا إلى نشأته ،حيث أنه أُنشئ حفاظا على القرآن الكريم من أن يقع في كلماته ، وتيسيرا لحَفَظة كتاب الله الله عز وجل ، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيرا من وجوه إعجازه وأسراره التي تنفذ[6].

- رفع اللبس والإشكال وتمييز معنى كل من لفظة وفقا للسياق الذي وردت فيه ، سواء أكان هذا السياق خاصا ، موضوع الآية مثلا ، أم كان عاما يشمل موضوع السورة كلها .

- إن فهم دلالة هذا اللون من التشابه يعين الحُفاظ فضلا عن غيرهم من القراء و الباحثين على الارتياح ، و أمن العثار عند قراءة القرآن .

---

[1] - البقرة / 169 .

[2] - لقمان / 20 .

[3] - الأعراف / 160 .

[4] - النساء / 114 ، الأنفال / 13 .

[5] - الحشر / 04 .

[6] - الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ص 62 .

– عدم اشتغال المفسرين بتوجيه الآيات المتشابهة لفظا ، والتأليف فيها مع أهمية هذا العلم[1].

4- **فوائـــــده** :

– الحث على العظة والاعتبار و التأمل ، مثل تكرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[2] ،في سورة الشعراء ، فإنها تكررت عقب كل ما يجدر أن يكون عِظة يعتبر بها .

– التقرير مثل تكرار " لله ما في السموات وما في الأرض " وفي قوله عز وجل :" ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتو ا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله غنيّا حميدا ، ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا

- إخراج المعنى الواحد في صور وأساليب شتى ، ليكون في ذلك جذبا للنفوس لما جلبت عليه من التنقل في الأشياء المتجددة ، ولإظهار خاصية القرآن ، حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه هُجنة في اللفظ ، ولا ملل في السمع ، بخلاف كلام المخلوقين[3] .

- من خلال دراسته يتعرف الإنسان على إعجاز ألفاظه وتراكيبه ، لذلك يعد أساس هام للمختصين في دراسات الأسلوب البياني لدى دراستهم للناحية اللفظية في القرآن[4].

[1] – مشهور موسى مشهور مشاهرة ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ط1، 2010 ،ص ص 09، 10 .

[2] – الشعراء / 07-08 .

[3] – محمد طلحة بلال منيار ، إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ ، ط1 ، 2003 ، ص 110 .

[4] – انظر : ابن الجوزي ، فنون الأفنان في علوم القرآن، تح : حسن ضياء الدين عتر،دار البشائر الإسلامية، بيروت ، لبنان ، ، ط1 ، 1987 ، ص 95 .

4- مصنفات المتشابه اللفظي :

يعد علم المتشابه اللفظي أحد علوم القرآن ، فقد ألف فيه عديد العلماء و أولوه عناية خاصة فيما يلي نذكر أهم المصنفات :

- متشابه القرآن ، للكسائي[1]
- .درة التنزيل وغرّة التأويل ، الخطيب الإسكافي[2].
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان للكرماني [3]
- حلية الحفاظ شرح منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ [4].
- متن المنظومة السخاوية في متشابهات الآيات القرآنية ، للإمام نور الدين علي عبد الله السخاوي[5].
- ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في التوجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل ، لابن الزبير الغرناطي .
- مبحث علم المتشابه من كتاب البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي.
- كشف المعاني في متشابه المثاني ، القاضي بدر الدين بن جماعة .
- ولجلال الدين السيوطي حديث في هذا العلم في كتابيه :

---

[1] – أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، متشابه القرآن، تح : صبيح التميمي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،طرابلس، ط1، 1994 ، ص 36 .

[2] – الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرّة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين ، مكة المكرمة ، ط1 ، 2001 ، ج 1 ، ص 12 .

[3] – برهان الدين أبي اقاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، البرهان في توجيه متشابه القرآن لم فيه من الحجة البيان ، تح : السيد الجميلي ، مركز الكتاب للنشر ،القاهرة ، دط ، ص 05.

[4] – محمد بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام العبد ، حلية الحُفاظ شرح منظومة الدمياطي في متشابه الآي الألفاظ ، دار الأنصار ، دط ، ص 01 .

[5] – محمد سالم محيسن ، شعبان محمد إسماعيل ، التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في شرح متشابهات الآيات القرآنية ، المكتبة المحمودية التجارية ،ط1 ، ص 03.

– الإتقان في عوم القرآن

– قطف الأزهار في كشف الأسرار [1].

- إرشاد الرحمان لأسباب النزول و النسخ والمتشابه وتجويد القرآن للعلامة عطية بن عطية الأجهوري الشافعي .

- تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن محمد بن أنبوجا التثبيتي ، و هوشر محمد أحمد الأسود الشنقيطي .

- مثاني الآيات المتشابهات الكاملات ، عبد الرزاق بن أحمد الشاندي اليماني .

- سلسلة ضبط المتشابهات في القرآن الكريم ، جمع وترتيب محمد بن عبد الله الصغير .

- التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن ، عبد الغفور عبد الكريم البنجاني[2]

[1] – الكسائي ، متشابه القرآن ، ص 36 .

[2] – الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ص 77 – 78 .

الفصل الثاني

المقاربة التداولية لتوجيهات ابن الزبير في ملاك التأويل

أوّلا: كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي

1 – تعريف بابن الزبير الغرناطي :

1-1 – اسمه ونسبه : هو أحمد بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ابن الزبير ابن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب بن مالك بن علقمة بن خباب بن مسلم بن عدي بن مرة بن عون بن ثقيف .

يكنى بأبي جعفر ، وعرف بنسبته إلى جده الأول الزبير وغلب عليه ذلك[1]،يعرف بالثقفي نسبة إلى قبيلة بني ثقيف ، وبالعاصمي نسبة إلى جده الثامن و بالجيّاني نسبة إلى مسقط رأسه جيّان ، وبالغرناطي نسبة إلى غرناطة التي استقر بها وترعرع حتى صار عالما ذا شأن و صِيت ، و بالأندلسي نسبة إلى بلده الأندلس[2] . وهو من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس[3].

و كان يلقب بالأستاذ ، و بأستاذ الجماعة و بالأستاذ الكبير تعظيما لشأنه و تنويها . بمكانته في العلم و الدين[4] .

1-2 – مولده ونشأته :

ولد ابن الزبير في ذي القعدة أواخر سنة سبع وعشرين (و قيل ثمان وعشرين) وستمائة للهجرة (627 هـ أو 628هـ) الموافق لسنة ثلاثين و مائتين وألف للميلاد (1230 م) بمدينة جيّان .

---

[1] – ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل ، تح : سعيد الفلاّح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2007 ، ج 1 ، ص 61 .

[2] – إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، ط1 ، المملكة العربية السعودية ، 2010 ، ج 1 ، ص 18 .

[3] – ابن الزبير الغرناطي ، المرجع نفسه ، ص 62 .

[4] – صالح عبد الله محمد الشثري ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، في اللغة العربية و آدابها ، جامعة أم القرى ، 2001، ص 64

وقد كانت جيّان يومها من القواعد الاسلامية الهامة تقع شمال غرناطة و شرقي قرطبة [1] ، انتقل من جيّان مسقط رأسه و هو في سن البلوغ منتقلا إلى غرناطة وقد نشأ في بيئة ثرية وفي كنف أسرة عريقة النسب و ثراء ووجاهة ، يقول صاحب الإحاطة في كتابه :" أصله من مدينة جيّان ....و نسبه بها كبير وحسبه أصيل ، وثروته معروفة خرج به أبوه عند تغلُّب العدو عليها عام 643 هـ ، وأبيه إذ ذاك ثراء وجده أعانته على طلب العلم "[2].

نشأ وترعرع و طلب العلم في غرناطة بدأ نجمه يسطع حتى غلبت عليه النسبة إليها فصار يسمى الغرناطي[3].

1-3- خصالـه :

عُرف على ابن الزبير جملة من الفضائل و الخصال النبيلة كإخلاصه للعلم ، وصبره على تحصيله، وتفانيه في نصرة الحق ، فلا يخاف من الحق لومة لائم ، كما عرف وَرِعا عفيف النفس ، ومن شعره الدال على عفّة نفسه قوله :

مالي وللتسآل لا أم لي إن سلت من يعزل أو من يلي

كما كان راجح العقل لطيف المعشر [4].

وقد جاء في الإحاطة :" كان خاتمة المحدثين ، وصدور العلماء والمقرئين نسيج وحده في حسن التعليم ، والصبر على التسميع ، والملازمة للتدريس ، لم تختل له مع تخطي الثمانين ، ولا لحقته سآمة، وكثير الخشوع و الخشية مسترسل العَبْرة، صليبا في الحق ، شديداً على أهل البدع ، ملازما

[1] – ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ، ص 62 .

[2] – لسان الدين محمد بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، دط ، 2009 ، ج 1 ، ص 368 .

[3] – إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات ، ص 19 .

[4] – ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ، ص ص 63 ، 64 .

للسُّنة جَزْلا ، مُهيبا ، معظما عند الخاصة والعامة ، عذب الفكاهة ، طيب المجالسة حلو النادرة "[1] ،قال فيه أبو حيان أنه كان " خيّرا صالحا ، كثير الصدقة ، مُعظما عند الخاصة والعامة ، متحدّيا ، أمّارا بالمعروف ، نهّاءً عن المنكر ، لا ينقل قدمه إلى أحد ... ونطق بالحق بحيث أدّى إلى التضييق عليه وحبسه "[2] .

1-4- مكانته العلمية :

انكبّ على العلم خصوصا بعد ذهابه إلى غرناطة ، وأخذ عن عدد كبير من العلماء ، فقد كان حريصا على لقاء الشيوخ واستجازتهم ، والمستعرض لمجموعة شيوخ ابن الزبير على اختلاف اختصاصهم تتضح له المكانة العلمية الكبيرة التي بلغها في فنون متعددة ، حيث تذكر كتب التراجم بروزه في التفسير والحديث والقراءات والنحو و التاريخ وغيرها[3] .

يقول عنه تلميذه أبو حيان الأندلسي :" كان محدثا جليلا ، ناقدا ، نحوياً ، أصولياً ، أديبا ، فصيحا ، مفوّهاً ، حسن الخط ، مقرئاً مفسراً مؤرخاً ، أقرأ القرآن و النحو والحديث بمالقة وغرناطة وغيرها ؛ وكان كثير الإنصاف ناصحا في الإقراء ، خرج من مالقة ، ومن طلبته أربعة يقرؤون كتاب سيبويه " [4].

لذلك كله كان جديرا لأن تنتهي إليه الرئاسة بالأندلس في علوم الشريعة و اللغة العربية بشهادة العديد من تلاميذه وأقرانه ، ففي الإحاطة : " إليه انتهى الرياسة بالأندلس في صناعة العربية،

[1] – انظر : لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص 369 .

[2] – السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح : محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط1 ، 1964 ، ج1 ، 292 .

[3] – انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات ، ص 20 – 21 .

[4] – جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ص 291 – 292 .

وتجويد القرآن ورواية الحديث ، إلى المشاركة في الفقه والقيام على التفسير و الخوض في الأصلين . أخذ عن الجُلَّة المقرئين ، كالمقرئ أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم بن مستور الغرناطي الطائي "[1].

وقد تولى ابن الزبير الغرناطي التدريس والقضاء والإمامة والخطابة بغرناطة[2].

1-5- مذهبــه :

يقول عنه الدكتور سعيد الفلاح محقق كتابه ملاك التأويل : " ابن الزبير الثقفي سنّي العقيدة ، مالكي المذهب ، عَدّه ابن فرحون من أعيان المذهب المالكي ، وترجم له بترجمة إضافية رفع فيها من شأنه ... وأورده صاحب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، وترجم له و أعلى شأنه "[3] .

انتقد ابن الزبير الملاحدة والكفار من مثل النصارى والثنوية والفلاسفة الذين ينكرون البحث، وانتقاداته لأخطاء بعض الفرق الإسلامية مثل الشيعة الإمامة ، والخوارج ، وبعض الصوفية و والمعتزلة خصوصا وقوفه ضد الزمخشري للتنديد بشيء من انحرافاته العقدية [4].

وقد قال فيه صاحب الإحاطة بأنه كان :" شديدا على أهل البدع ، ملازماً للسنّة "[5]. وهو ما وقفنا عليه في عديد من المواضع في كتابته ملاك التأويل .

كما أورد الدكتور إبراهيم الزيد صاحب كتاب البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات بعد استقرائه لأقوال ابن الزبير في مجال المعتقد أنه ابن الزبير :" وإن كان ينتسب لأهل السنّة إجمالاً إلا أنه يميل إلى المذهب الأشعري تحديدا وظهر هذا في بعض الأمور مثل : نفيه عن الله صفة التعجب، ونفيه لصفة الاستواء ، ونفيه لصفة الكلام أن تكون باللفظ و المعنى ... "[6] .

---

[1] – لسان الدين الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص 370 .

[2] – انظر : ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ، ص ص 65 – 80 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 69 .

[4] – إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات ، ص 24 .

[5] – لسان الدين الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص 369 .

[6] – إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات ، ص 25 .

1-6- شيوخه وتلاميذه :

عرف ابن الزبير بكثرة الشيوخ الذين طلب العلم منهم وما ذاك إلا لحرصه الشديد على الأخذ عنهم ، وملازمتهم ، فقد وصل عدد شيوخه إلى ثلاثة وستين شيخاً .

أما تلاميذه فإن عالما بمثل هذه المكانة يكون مقصدا لطلاّب العلم ، ولهذا كثر طلابه في غرناطة و مالقة ، وكثُر المرتحلون إليه ، وقد جمع محقق كتاب البرهان لابن الزبير سبعة ستين تلميذا ، منهم أبو حيّان الأندلسي صاحب تفسير المحيط ، والذي قال فيه : " وقد أخذت هذا الفن – يقصد علم النحو والصرف – عن أستاذنا الأوحد العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه وغيره " ، كما أشار إليه في تعلم علوم أخرى كالبيان والبديع ، والخصوص و العموم وشرح بعض الكتب[1].

1-7 – وفاته وآثاره :

توفي ابن الزبير الثقفي الغرناطي يوم الثلاثاء من ربيع الأول سنة ثمان وسبعة للهجرة (708هـ)، الموافق لسنة ثمان وثلثمائة وألف للميلاد (1308 م) بغرناطة عن إحدى وثمانين سنة (81سنة) وعلى حال جميل .

وكانت جنازته بالغة أقصى مبالغ الاحتفال ؛ نفر لها الناس من كل أوب ، واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم ، إلى جدثه ؛ وتبعه ثناء جميل ، وجزع كبير ؛ رحمه الله ، ورثاه طائفة من طلبته وممن أخذ عنه ، منهم القاضي أبو جعفر بن أبي حبل في قصيدة أولها :

عزيز على الإسلام والعلم ماجد فكيف لعيني أن يُلمَّ بها الكرَا

وما لمآقي لتفيض شؤونها نجيعا على قدر المصيبة أحمرا

[1] – صالح عبد الله محمد الشثري ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، في اللغة العربية و آدابها ، جمعة أم القرى ، 2001، ص ص ، 65 – 66 .

فوالله ما تقضي المدامع بعض ما يحق ولو كانت سيولا و أبحرا [1].

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير جزاء .

وقد صنف ابن الزبير في الكثير من المعارف التي عني بها ، في أصول الفقه ، وفي علم الكلام ، وله كتب كثيرة وأمهات بشهادة تلاميذه إلا أن كثيرا من لم يقع العثور عليه عدا اثني عشرة عنوانا ، ويفسر هذا بما وقع له من محنة فَقَدَ جرّاءها الكثير من كتبه [2].

يقول ابن الخطيب في الإحاطة : " ففرّ لوجهه ، وكبس منزله لحينه ، فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه ، وفوائد تقييده عن شيوخه " [3] .

وفيما يلي ما اشتهر من أسماء مؤلفاته :

-أرجوزة في بيان مذهب الشوذية .
-كتاب الأعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام .
-برنامج رواياته (يعني شيوخ ابن الزبير) .
-البرهان في تناسب سور القرآن .
-تعليقة على كتاب سيبويه .
-ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل ، في الرّد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية .
- الزمان والمكان . وقد وصفه صاحب الإحاطة بقوله " وهو وصمة تجاوز الله عنه "[4].
- سبيل الرشاد في فضل الجهاد .
- شرح الإشارة للباجي .
- صلة الصلة البشكوالية .

[1] - لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص ص ، 375 –376 .
[2] - ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ، ص ص 91، 92 .
[3] - لسان الدين ابن الخطيب ، المرجع السابق ، ص 373 .
[4] - المرجع نفسه ، ص 371 .

- معجم شيوخه .

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل[1] .

2- التعريــف بالكتـاب :

2-1 – اسمـه وموضـوعه :

سماه صاحبه ب : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل "

أما موضوعه فيعرف من خلال عنوانه ، فهو توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أي حصر الآيات المتشابهة في القرآن تشابها لفظيا ، ومعرفة الاختلافات الدقيقة فيما بينها ، ثم العمل على توجيه هذه الاختلافات وتخريجها بالنظر إلى مواقعها في سور القرآن ، أو في سياق الآيات ونظر السّور ، أو بالنظر إلى أحوال المخاطبين ، أو بالنظر إلى الترتيب القرآني حسب ما في المصحف أو حسب النزول ، أو ذلك من طرق التوجيه التي يتم بها توضيح العلة في تلك الاختلافات [2].

والكتاب برهان قاطع على أهل الإلحاد والتعطيل في تعلقهم بالآيات المتشابهات للطعن في كتاب الله والنيل منه ، فهم يختلفون من هذا شبها يسقطونها للكيد من الدين جهلا منهم بما خفي وراء هذا التكرار والمتشابه من مقاصد سامية ، ويكون هؤلاء الطاعنين قد خدموا كتاب الله من حيث لا يدرون حيث كانوا سبب في فتح باب هذا العلم ، والخوض فيه [3] .

2-2- الغرض من تأليفه :

اهتم ابن الزبير في تأليفه بتوجيه ما تكرر من آيات الكتاب العزيز لفظا واختلف بتقديم أو تأخير، أو بعض زيادة في التعبير فأبرز ما في تلك الآيات من حكم ومعان إلهية سامية تعلو بها عن

[1] – ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ،ص ص 92 – 93 .

[2] – إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات ، ص33 .

[3] – انظر: الشثري ، المتشابه الفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، ص 67 .

نقيصة التكرار والحشو والابتذال ، وقصده من وراء ذلك كله القطع بذوي الإلحاد والتعطيل ممن تعلق بمثل هذه الآيات المتشابه للطعن في كتاب الله والنيل من الدّين[1].

قال ابن الزبير : " إنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوي الزيغ والارتياب ممن يتعلق بما تشابه منه طعنا في الدين واتباعا لسبيل الملحدين وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك "[2].

كما دفعه إلى تأليفه ندرة ما أُلّف في هذا الباب من العلوم الشرعية على أهميته البالغة ، حيث يقول في هذا " وإنّ هما حرك إلى هذا الغرض ... أنه باب لم يقرعه ممن تقدّم وسلف ، ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف ، أحد فيما علمته على توالي الاعصار والمدد ..." إلى أن ورد على كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة – نفعه الله – سمّاه بكتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل " [3] .

ثم أثنى على الكتاب وأبدى إعجابه به ، إلا أنه عزم على تأليف الكتاب لإكمال نقصه واستدراك ما أغفله الإسكافي من الآيات .

2-3 – منهج الكتاب :

2-3-1-المنهج العام للكتاب :

– تتبع ابن الزبير كل الآيات التي تدخل في المتشابه اللفظي مراعيا ترتيب التلاوة سورة سورة ، وآية آية ، مبتدأ بسورة الفاتحة ثم البقرة إلى الناس مرتبا الآيات في كل سورة ، فيذكر الآية الأم في المتشابه ويلحق بها ما يشابهها في السورة نفسها أوّلا ثم من السور الأخرى مرتبة .

– يعيد ما تحدث عنه في الآيات الأخرى المتشابهة للآية الأم في السور الأخرى ، بل إنّه لا يشير إلى أنه سبق الحديث عنها كما فعل الكرماني في البرهان ، فنجده في بعض سور القرآن لايذكر فيها شيئا لأنه سبق الحديث عنها في سورة سابقة .

---

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص 108 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 242 .

[3] – المرجع نفسه ، 145 .

– يشبه إلى ما أغفله الإسكافي من الآيات المتشابهات بوضع غين (غ) أمام الآية التي لم يذكرها الإسكافي [1]، يقول ابن الزبير " ... ما لم يقع في كتاب درة التنزيل ... فنبهنا إلى ذلك لينحاز من المجتمع على ذكره ويفصل ، فعلامة (غ) تدل على أنه من المغفل " [2] .

– وقد تتبع محقق الكتاب الذي بين أيدينا الدكتور سعيد الفلاح تتبع الكتابين فخرج بما يلي : " مجموع الآيات التي تناولها الإسكافي في كتابه بلغ ثلاثا وسبعين ومائتين (273) آية ، بينما بلغ ما تناوله ابن الزبير سبعا وسبعين وثلاثمائة (377) آية ، فيكون بذلك عدد ما أغفله صاحب درة التنزيل وحظي بعناية ملاك التأويل مائة وأربع (104) آيات ، يضاف إلى عدد كبير من الآيات التي أوردها ابن الزبير في نطاق سرد الآيات المتشابهة ، أغفلها صاحب الدرة ، فقد كان ابن الزبير أكثر استقراءا وتتبعا وتحريا " [3] .

2–3–2 – منهجه التطبيقي :

ونقصد هنا منهجه في البحث والتقصي عن أسباب الاختلاف التي هي محور الكتاب ، وقد ساعده ذوقه المرهف ليتناسب مع دقة هذا الموضوع وحساسيته ، بالإضافة إلى اكتمال أدواته واستجماع آلاته مما عرفنا عنه آنفا ، فجاء منهجه كالآتي :

1– دراسة التناسب في الكلام من خلال توضيح مناسبة حروف الكلمة لها من جرس وصوت، ومن خلال تطابق اللفظة مع المعنى المطلوب في سياق إيرادها ، والمعاني وصحتها وسلامتها وتناسبها وترابطها وانسجامها في تكوين هيكل الجملة وبنائها ، وقد تعدى ابن الزبير هذا التناسب إلى تناسب الآيات بل أثبت التناسب بين السورة وجارتها .

2– خرج ابن الزبير في منهجه في البلاغة عن دائرة الجملة إلى دائرة النص بنظرته الشاملة القائمة على تحليل التراكيب للبحث عن خصائصها ودلالاتها ومعانيها ، دون تضييق للنظر بالبحث عن استعارة أو كناية أو جناس أو نحو ذلك .

---

[1] – الشرجي ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، ص ص 68 – 69 .

[2] – ابن الزبير ، ملاك التأويل،ص ص 147، 148 .

[3] – المصدر نفسه، ص 113 .

3- يقوم منهجه على العمل المتواصل للبحث عن العلل والأسباب التي من كان الاستحسان لهذه اللفظة أو لذلك الأسلوب ، ما يناسب اختياره هذا في هذا المقام ، واختياره غيره في مقام آخر[1] .

4- التزم ابن الزبير بمنهجه تبعا للغاية التي حددها للكتاب وهي القطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل ، وهدفه " السؤال عن وجه تخصيص كل من الموضعين بالواو فيه ، وهو مقصودنا في هذا الكتاب "[2].

غير أنه أحيانا تدعوه الحاجة إلى الاستطراد في بعض الموضوعات .

2-4- مصـــادره :

اعتمد ابن الزبير في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن على العديد من المصادر أهمها :

- القرآن وعلومه ، حيث اعتمد على بعض الآيات ببعضها ، واعتمد على سياق السور و الآيات، وترتيب القرآن حسب المكي والمدني ، أو حسب أسباب النزول أو حسب ورود السور في المصحف الشريف .

- علم القراءات واختلاف القراء والحجج في ذلك ، وساعده تضلعه في هذا الفن .

- الحديث الشريف فقد كان محدث الأندلس وانعكس هذا على توجيهاته بالاعتماد على أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

- علوم اللغة والنحو فهو إمامها ، وقد لاحظنا كثرة المباحث النحوية في توجيهاته معتمدا إيّاها لتدعيم آرائه وتوجيهاته وكثيرا ما استدل بآراء سيبويه في الكتاب .

- علم البلاغة وهي العمود والأساس في هذا الكتاب خصوصا علم المعاني ، كون المتشابه اللفظي قائم على مباحث بلاغية في أغلبه ، كالتقديم والتأخير ، التعريف و التنكير ، الإضمار والإظهار .

- آراء العلماء ممن سبقه من مفسرين ، كالزمخشري و الرازي و ابن عطية والقرطبي و الطبري ... وكذا الخطيب الإسكافي في كتابه دُرّة التنزيل ، والنحاة واللغويين على رأسهم سيبويه و الخليل والأخفش و الفرّاء [3].

---

[1] - انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الرّيد ، البلاغة القرآنية ، ص ص 532 ، 533 .

[2] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص 302 .

[3] - انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الرّيد ، البلاغة القرآنية ،ص ص 42 ،43 .

2-5- القيمة العلمية للكتاب :

والتي اكتسبها من خلال مجموع مزايا نحاول ذكرها بإيجاز :

- الاستقراء الجيّد في جمع أشتات الآيات المتشابهة من أجزاء القرآن المختلفة ثم البحث فيها . برغم بدائية الإمكانات في عصره .

- دقة الملاحظة وقوة التأمّل لما يمتاز به المؤلف من عقلية لماحة وشخصية قوية ونظر ثابت في تحليل وتبيين سر الفروق الدقيقة بين الآيات .

- طول النفس في عرض القضايا البلاغية ، مقتديا بمنهج عبد القاهر الجرجاني في التحليل والدراسة بجهد منقطع النظير ، كما كان البسط يوضح الكلام بالشاهد و المثال .

- انفرد بكثير من مباحث البلاغة القرآنية التي لا توجب في كتب المتشابه اللفظي و لا في كتب التفاسير .

- فوائد علمية ونظرات تأملية في عديد من الفنون تطرأ في ثنايا المعالجة لتلك الآيات مما تبحث نشاطا و تشويق لدى القارئ ، كإثبات إعجاز القرآن و سر تسمية سور القرآن بأسمائها ، وقياس ذلك على فعل العرب مع كلامهم ، و تأمله لمنهج الأنبياء في الدعوة ...[1] .

2-6- مـآخذ على الكتاب :

وكما يقال لكل حصان كبوة ، وما من كتاب يخلو من الزلة والخطأ والنقيصة غير كتاب الله وذكره الحكيم .

ورغم العمل العظيم والبذل الفكري الضخم في الكتاب إلا أن هذا لا يمنع من وجود ملحوظات لا تنقص من قيمته العلمية ومكانته منها :

- الاستطراد و الابتعاد عن المنهج أحيانا رغم حرصه على التزامه .

- التكرار والإسهاب وهو غير شائع .

- التكلف في حشد الآيات المتشابهات مما ألجأه إلى إدخال ما ليس منها في صنفها .

[1] - انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الرّيد ، البلاغة القرآنية، ص ص 557 – 572 .

– التكلف في الإجابات ، فتكلفه في بعض المتشابهات أدى إلى تكلفه في بعض الإجابات عليها ، ومهما يكن من قدرة عقلية ودقة ملاحظة لدى ابن الزبير لا يمكن التسليم له بجميع توجيهاته .

– الجرأة في التخريج ، والجرأة شجاعة لكنها غير ذلك في غير موضعها حيث لا يجب أن تتجاوز قوة شخصيته الحدّ فتتجرأ في التخريج ، من أمثلة ذلك حكمه في عديد من الآيات إن لم نقل أغلبها بأنه لا يناسب أن تأتي بغير هذا الوجه ، وأن المراد من الآية كذا ولذلك جاءت بهذا الأسلوب ولم يكن غيره ليناسب وما شابه من العبارات التي لا يليق إطلاقها على القرآن كلام الخالق .

– قلة العناية بضبط المصطلحات العلمية كاسم الفن والمصطلح البلاغي ربما لطغيان جانب التحليل والتطبيق على منهجه .

– الثناء على النفس ويحق له ذلك لما له من منزلة لكن العيب الإكثار منه ، و نلمحه في نقده لتوجيهات غيره إذا ذكرها ، وثناؤه على ما يقول كقوله : " وجاء كل على ما يجب ويناسب ، أو ولا يناسب خلافه "[1] .

ثانيا: المقاربة التداولية لتوجيهات ابن الزبير في ملاك التأويل:

1– الاختلاف في الصيغة:

1–1– الاختلاف في الاسمية والفعلية :

وردت في القرآن الكريم عديد آيات متشابهات من حيث الاسمية والفعلية، بحيث يرد في إحداها فعل يقابله في الأخرى اسم، من هذه المواضع نذكر التشابه في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام في سورة الأعراف ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[2] ، مع قوله تعالى على لسان هود عليه السلام في سورة نفسها ﴿.. **وأنا لكم ناصح أمين** ﴾[3] . في

[1] – انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية ، ص ص 588 – 604 .

[2] – الأعراف / 62.

[3] – الأعراف ، الآية 68.

الآية الأولى استعمل الخطاب القرآني الفعل (أنصح) فيما استعمل الاسم ، اسم الفاعل (ناصح) في الآية الثانية .

والسؤال المطروح : ما السر في تفضيل الفعل دونا عن الاسم في الموضع الأول ، وتفضيل الاسم على الفعل في الموضع الثاني ؟ يرى ابن الزبير أن الخطاب القرآني على لسان نوح : "بين لهم نصحه واستمراره في إبلاغهم ونصحهم ... وإنما قال (أنصح) و (أعلم) ليُعلم بتماديه على النصح لهم ... وبإمداده بزيادة علومه بالوحي ..."[1] ردا على مقالهم ووصفهم له بالضلال المبين .

وعن جواب هود _عليه السلام _ الذي رماه قومه بالسفاهة والطيش فقد نفى قولهم ، ثم عرفهم برسالته "فقال (أبلغكم) فجاء بالفعل المشعر بالتكرار والاستمرار قياما بإبلاغ رسالته وحفظا لأمانتها ، ثم قال ﴿**وأنا لكم ناصح أمين** ﴾فعرفهم بصفتين جليلتين قد اكتنفته العصمة فيهما . ومن كانت صفتاه اللازمتان له النصح والأمانة فقد تنزه قدره عن الطيش وعدم الحلم"[2]

ثم يعلل ابن الزبير الإتيان بالاسم بدل الفعل بقوله " ليحصل منه أن ذلك الوصف الجليل [ناصح] لازم له غير مفارق ، ولم يكن الفعل ليعطي ذلك فجاء بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو (أنا) فهذا مقصود ثابت الوصف ولزومه"[3]

أشار ابن الزبير إلى البعد الإقناعي باستعمال هود _عليه السلام _ الوصفين (ناصح) وهو اسم فاعل و (أمين) الصفة المشبهة كأداة حجاجية في خطابه مكنته من بناء سلمه الحجاجي لينزه قدره من الطيش وعدم الحلم ، ونعرف أن اسم الفاعل و الصفة المشبهة من نماذج الوصف التي يدرجها المتكلم في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد ، ولتنبني عليه النتيجة التي يرومها فهود عليه السلام _ لم يستعمل الوصفين (ناصح) و(أمين) لمجرد الوصف

[1] -ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص 527.

[2] – نفسه ،ص527.

[3] – نفسه ، ص528.

والإخبار إنما ليحاجج ليلزم مخاطبه بناءً على هذه الأوصاف تصنيفه في الإطار الذي يرتضيه ، وإحداث الأثر الذي يرمي إليه وهو التصديق برسالته كنتيجة .

وقد قارن ابن الزبير بين الفعل الكلامي الناتج عن استعمال الفعل ، والفعل الكلامي الناتج عن الاسم حيث يرى أن الفعل (أنصح) كما هو الحال في(أبلغكم) يفيد الاستمرار والتكرار في الحدث ، بخلاف الاسم حيث يصبح النصح ثابت لازم له غير مفارق ولم يكن الفعل كما عبّر ليحرز هذا القصد .

كما ربط ابن الزبير الاختلاف في الفعل (أنصح) والاسم (ناصح) بالسياق اللغوي للآيات حيث تتبع موقعها بين الآي ، والسياق المقامي الذي قيلت فيه هذه الملفوظات ، وأحوال المتكلمين والمخاطبين . فهُود لما رماه قومه بالسفاهة وقلة الثبات وكثرة الطيش كان الأنسب وصف نفسه بالناصح ردا على اتهامهم ، وجلبا لإذعانهم، إذ لا يتفق أن يكون الناصح والذي لا يكون إلا حكيما عاقلا ، لا يتفق مع اتصافه بالسفاهة والطيش .

أما نوح فقد رماه قومه بالضلال المبين﴿**إنّا لنراك في ضلال مبين**﴾[1] فكان ردّه عليهم ﴿ **وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[2] فقد أغنى علمه الذي خصه الله به عن استعمال الاسم .

1-2- الاختلاف في صيغة الماضي والمضارع :

كثيرا ما يرد الفعل في زمن الماضي في آية ، ويرد في شبيهاتها مضارعا ، وصيغة الفعل لها زمنها الماضي أو الحال والاستقبال (المضارع) ، الذي يستدعيه سياق الخطاب القرآني ، ولكل زمن دلالته وايحاءاته في الجمل الفعلية ، فالماضي في الأصل يدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي والمضارع يدل على وقوعه حاضرا أو مستقبلا ، كما يفيد تكرار الفعل وتجدده ، وكثيرا ما يوضع أحدهما

[1] - الأعراف / 62.

[2] -الأعراف / 60.

مكان الآخر لأسباب بلاغية ، اجتهد العلماء في الوقوف عليها ، يقول ابن الأثير :" اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في الحالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ..."[1].

وبعد استقراء مجموعة من الآيات المتشابهة في صيغ الفعل الماضي والمضارع لاحظنا أن توجيهاتها تدور حول تقصي مقام المضارع ومقام الماضي ، وللتوضيح أكثر اخترنا الآية الآتية :

قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2]، وقوله في سورة الشعراء : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[3].

ويتساءل ابن الزبير الغرناطي في " فلِكل سائل أن يسأل عن وجه ورود (نسلكه)في سورة الحجر، وورود (سلكناه) في سورة الشعراء ؟" [4]،

في المتن يوضح الفرق بين الصيغتين وهو واضح ، ثم يجيب : ففي توجيهه لآية الحجر عاد بسياق الآيات إلى قول كفار قريش ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[5]، تكذيب وتسفيها لشخص الرسول الله – ﷺ– وهو المخاطب في قولهم ،وقد كان المعنى الملفوظ سببا فيما يحمله قوله تعالى :﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[6]. من قصدية ، والتي حددها ابن الزبير بالفعل الكلامي (التهديد والوعيد)فقد عدل فعل الأمر (ذرهم)

[1] – ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج2، ص145.
[2] – الحجر/ 12.
[3] – الشعراء / 200.
[4] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص 723.
[5] – الحجر/ 06.
[6] – الحجر / 03.

وفعلي جواب الأمر (يأكلوا ويتمتعوا) عن المعنى الحرفي (الأمر) إلى المعنى المستلزم الذي أوجده السياق وفرض المقام المتكلم ومنزلته .

ثم ذكر أنه "لم يتقدم في السورة إخبار مجال غيرهم من مكذبي الأمر سوى التعريف بأن كل قرية أهلكت بأجل معلوم لا يتأخر ولا يتقدم "[1]، على خلاف سورة الشعراء كما سيأتي ذكره .

كل ذلك كان تمهيدا لتوجيهه كما قوله تعالى "كذلك نسلكه " وحيث قال :" والمراد بسلوكه في قلوبهم ما تحصل عندهم وقطعوا به من معرفتهم بباهر نظمه ورفيع إيجازه وعليَّ تناسبه ، وأنه يفوق كل كلام مع أنه بلسانهم"[2] ، فلقد توقف ابن الزبير عند الملفوظ (نسلكه) ليبين دلالته الملفوظية ، فلم يكتف بالدلالة المعجمية له ، إذ يعني السلك في معاجم اللغة إدخال الشيء في الشيء[3] ، وقد استشهد بذات الآية صاحب لسان العرب ، ولكن ابن الزبير هنا ركز على دلالتها كملفوظ ، راعى فيه مقصدية المطلب القرآني بقوله (والمراد) في الحقل التواصلي الاجتماعي الذي وضحه ، دون أن ينأى عن المحتوى القضوي أو المعنى الحرفي للملفوظ .

وقد ربط ابن الزبير هذه الآية بقوله : فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" كونهما يشتركان في الفعل الكلامي ذا وهو التسلية لبنية ، فهم لا يكذِّبون برسالة في حقيقة أمرهم، بل ومتيقنين من أن ما جاء به من وحي ليس كلام البشر أنما هم جاحدون للحق مستحقون للهلاك .

ويقول ابن الزبير :" وقوله (نسلكه) مُشعر باستمرار حالهم وموافاتهم عل ذلك ، وقد تأكد هذا بوصفه بالإجرام وتسجيل حالهم الشي، بقوله (لايومنون) بأداة لا النافية للمستقبل "[4].

[1] –ابن الزبير، ملاك التأويل ، ص723.

[2] – المرجع نفسه ، ص 724.

[3] – انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (س.ل.ك). م 10، ص ص 442،443.

[4] – المصدر السابق، ص724.

فقوله (مشعر)إشارة للبعد الإيحائي للملفوظ (نسلكه)كفعل مضارع وإلى الدلالة النفسية التي طرقها لدى القارئ (ابن الزبير) ، والتي تشير بالقصد (الاستمرار في الفعل) دون أن تجزم به.

ونلمح البعد الإقناعي في إلقائه الضوء على حجاجية الوصف (مجرمين) و(لايومنون) ، ولا النافية للمستقبل لمتتالية تدعم ... الفعل المضارع كونه يفيد الاستمرار في الملفوظ (نسلكه) كخيار أفضل في إفصاحه على قصدية الخطاب ، كما تدعم استحقاق هؤلاء للهلاك الذي هونته الأولين من قبلهم

أما في الشعراء كما يقول ابن الزبير " فقد تقدمها ذكر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم المكذبين ... فلما تقدم أمرها وانقطعت أزمانها وقعت العبارة بالماضي "[1].

فالسياق اللغوي للآيات يكشف عن إشارات زمانية لأحداث ماضية في أزمن غابرة ، وإن لم يذكرها – ابن الزبير –بالتحديد فناسب السياق أن يكون الملفوظ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾[2] ، بصيغة الماضي، فاتفق في الآيات الزمن النحوي مع الزمن الكوني ، ولم يتوقف ابن الزبير عند توجيه الملفوظ بل و أكد (ولم يناسب هذا غير الماضي)[3] ، في عبارة جازمة ، إلا أنه أردف وختم كلامه ب– الله اعلم– ويقينا منه أن تأويلا ته مجرد احتمال لا يخلق الطريق على تأويلات أخرى كما بدا بها ، أو أن قصدية الخطاب القرآني لا يمكن الجزم بها .

1–3– الاختلاف في الصيغة الصرفية للماضي :

والمقصود هنا تنوع صيغ الفعل الماضي التي تعود إلى مادة واحدة نحو : انزل نزّل ، أنجى ونجىّ، تبع واتبع ، واستطاعوا واسطاعوا ...وغيرها ، فكل صيغة لها دلالتها في اللغة ، والخطاب القرآني

[1] – ابن الزبير، ملاك التأويل ، ص724.

[2] – الشعراء / 200.

[3] – ابن الزبير ،ملاك التأويل ص725

حين يستعمل إحدى صيغ أبنية الاشتقاق دون عن أخرى فلأنه يريد معنى بيانيا بغية ، وعرضا بلاغيا قصده ، فما ينطق عن الهوى .

ومن هذه الآيات المتشابهة في ألفاظها ، المختلفة من حيث صيغة الفعل الماضي نورد هنا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] وفي سورة طه ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾[2] .

يسأل ابن الزبير عن سر هذا الاختلاف قائلا:" ما فائدة اختصاص و ما وجه تخصيص كل موضع منها بما اختص به "[3].

ويبدأ جوابه على هذا السؤال بإيراده المعنى المعجمي لهذا الملفوظ موظف الاختلاف (تبع،اتبع) ، ودلالة الصيغة الصرفية لهما ، فكان الفرق في هذه الخيرة ، حيث أن (تبع) فيه انبناء على الاتباع دون تكلف ولا مشقة ، أما (اتبع) التي هي على صيغة (افتعل) تبنئ عن تعمل وتحميل للنفس وتكلف ، فتقدم الملفوظ (تبع) وأنه لا تكلف فيه كونه أصل وتأخر (اتبع) وهو الفرع ، والحجة إلى هنا غير كافية سيستدركها لاحقا .

ثم ينبه على البعد القصدي في كل الملفوظين ، بتعبير أدق الاختلاف في القوة الإعجازية لهما ، أو كما أطلق عليه سيرل في معاييره لتصنيف الأفعال بالاختلاف في حدة الاستثار "[4] ،حيث وضح ابن الزبير ارتباط الفعل (تبع) بسياق لا يتطلب التعمل والعلاج أي التكلف ، وضرب مثلا على ذلك بقوله تعالى على لسان إبراهيم –عليه السلام-: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

[1] – البقرة / 38.
[2] – طه / 123.
[3] – ابن الزبير ، ملاك التاويل ، ص190.
[4] – فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية ، ص 64.

﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، حين أشار بقوله (مني) إلى الخاصة من سالكي سبيله باتباعه ، فعبر بما يشير إلى غاية التمسك والقرب للذات (الأنا) فناب ذلك (تبعني) يريد بها الجري على مقتضى الفطرة والهداية من غير إطالة نظر ووضوح شواهد، كما استشهد بقوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2] وحيث تشترك مع مثيلاتها في سياق تعامي عن النظر وكان سبيلهم الغيَّ والضلال ، أو الهداية بتعمل أو بعد طول ضلال ، فلذلك استدعى أن يكون الفعل الكلامي لأقوى إنجازية من نظره ، وهو (ابن الزبير) في كل ذلك يحاول إثبات تناسب الملفوظ مع المقصود .

ثم يعود يربط هذين الملفوظين بوصفهما فعلين كلامين يتفاوتان في قوتها الإنجازية بحسب الواقع الاجتماعي التواصلي لهما والذي هو بصدد توضيحه ، فالخطاب القرآني هاهنا وفي كل من الآيتين موضوعه قصة إغراء إبليس لسيدنا آدم –عليه السلام– وخروجه وزوجه من الجنة ، فالمتكلم والمخاطب نفسهما في السورتين وهو الله سبحانه وتعالى ، موجها الخطاب لآدم – عليه السلام – وزوجه ومن ثم ذريتهما ، وما اختلف في الموضعين هو السياق ، وبالتحديد السياق اللغوي ، وقد وضح ابن الزبير أن آية سورة البقرة تقدمها قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] إلى قوله:﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[4] ، لم يرد فيها ما كان إبليس من إغواء أو تعرض لكيفية ما فعل، فناسب ذلك الملفوظ ﴿ تبع ﴾ ولما ورد في آية سورة طه ، ذكر كيفية إغوائه بقوله له ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

[1] – إبراهيم /36.
[2] – القصص /50.
[3] – البقرة / 35.
[4] – البقرة / 38 .

قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[1]،وكثيرا من إشارات على قوة كيد الشيطان اللعين واستحكام الحيلة ...صار تمييز الحق واتباع الهدى أمرا لا يحصل إلا بمعالجة وتعَمُّل، فناسبه زيادة في قوة الفعل الكلامي ، والتي اكتسبها من التضعيف .

1-4- الاختلاف في الصيغ الاشتقاقية :

ويقصد في هذا الباب من صيغ الاشتقاق اسم الفاعل ،اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، وصيغ المبالغة ....

ومادة هذا الموضوع تعد الأقل ورودا في آي القرآن الكريم ، وقد لا تتعدى الثلاث مسائل ، نختار إحداهما ، وهي قوله تعالى في سورة هود﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[2] وقوله في سورة النحل ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3] .

والسؤال هذا يطرحه ابن الزبير :" ما وجه التخصيص آية هود بقوله (الأخسرون) ، وآية النحل بقوله (الخاسرون) وهل كان يمكن العكس ؟"[4] ، ثم يجيب.

يعود بنا ابن الزبير في تبريره لاختيار صيغة التفضيل في الملفوظ على اسم الفاعل في سورة هود، يعود بنا وبالآيات إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[5]، والذي كان في معناه الحرفي استفهاما لكن معناه الحواري المستلزم خرج عن ذلك إلى إقامة تفاضل بين الطرفين وترجيح الكفة لإحداهما وهو المذكور أولا (من كان على بينة) ، ثم يليها قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[6] ،لتأتي المفاضلة صريحة ، ثم استمر

[1] - طه / 120.
[2] - هود / 22.
[3] - النحل / 109.
[4] - ابن الزبير، ملاك الأويل ، ص650.
[5] - هود / 17.
[6] - هود / 18.

الخطاب القرآني في وصفهم ، وكيف أنهم يعرضوا على ربهم ، وتشهير الأشهاد بهم ، ولعنهم ومضاعفة العذاب لهم إلى غير ذلك ، إلى قوله تعالى ﴿لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾فناسب هذا السياق التواصلي اللغوي ، كما يرى ابن الزبير ذكر الملفوظ بصيغة التفاضل وقصدية التفاوت، بل ويرى لفظ ﴿ الخاسرون ﴾ لا تفي بالمقصود الذي أراده الخطاب القرآني في آية هود .

أما في سورة النحل يرى ابن الزبير أنه :" لم يقع قبلها أفعل التي للمفاضلة ولا ما يُفهِمُهَا"[1]، وذكر أن الآية سُبِقت بقوله ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[2].

وقوله:﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[3] وقوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[4] وكيف أن فواصلها اتفقت في اسم الفاعل المجموع جمع السلامة (كاذبون ، كافرون ، الغافلون) إلى أن ختم –سبحانه وتعالى– وصفهم في قوله: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[5] ، ومنه فقد أوعز ابن الزبير اختيار الخطاب القرآني لاسم الفاعل في هذا الموضع لتناسبه في فواصل الآيات والسياق اللغوي فحسب .

ويجدر الذكر هنا إلى أن ابن الزبير قد غيّب البعد الإقناعي للصيغتين في الآيتين الكريمتين ، وقد كان له أن يركز في توجيهه لهذا الاختيار والاختلاف عن الجانب الحجاجي لكل من اسم التفضيل واسم الفاعل كل في موقعه .

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص651.
[2] – النحل / 105.
[3] – النحل / 107.
[4] – النحل / 108.
[5] – النحل / 109.

2- الاختلاف في الآيات المتشابهات في الإفراد والجمع :

والمقصود ها هنا أن الكلمة القرآنية كثيرا ماترد مفردة في موضع ، وجمعا في موضع آخر مشابه لغرض بلاغي يستدعيه السياق بأنواعه ، أو المناسبة ما جاورها من ألفاظ ، أو لتحقيق مددها وقصد بعينه ، فينظر في الغرض من هذا الإفراد أو الجمع والمدلول الذي تحقق من ورائه ، ولم يدخر علماؤنا جهدا في البحث عن المقاصد والأسرار البلاغية من وراء هذا الاختلاف بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فتوسعوا في البحث في اختلاف نوع الجموع ، جمع التكسير أو جمع السلامة ....

وسنذكر في هذا المقام ثلاثة أنواع من هذا الاختلاف وهي الإفراد والجمع في الأسماء الظاهرة ، والإفراد والجمع في الضمائر والاختلاف في صيغ الجموع .

2-1-الجمع والإفراد في الأسماء الظاهرة :

كثيرا ما تستوقفنا في كتاب الله آيات تشابهت واختلفت في لفظ مع نظيراتها بين جمع وإفراد ، نحو آية وآيات ، صلاة و صلوات ، معدودة ومعدودات ، وسماء وسموات ... فيعنُّ لنا أكثر من تساؤل حول هذا الاختلاف بين موضع وآخر .

وقد أثرنا مناقشة الاختلاف في جمع لفظ ﴿ صلاة ﴾ وإفرادها ، في قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[1] ، فلم يقرأ هنا بغير هذا اللفظ ، وكذا في المعارج قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[2]، أما في سورة المؤمنون فيقول تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[3].وفي قراءة الجماعة إلاّ الشيخين (حمزة و الكسائي) [4] ، فما وجه ذلك ؟

---

[1] - الأنعام / 92.

[2] - الأنعام / 92.

[3] - المؤمنون /09.

[4] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص460.

يرى ابن الزبير أن الجمع (صلوات) أضاف تفخيما في الملفوظ بخلاف المفرد ، وهذا التفخيم كان ناتجا عن سياق الآيات التي تقدمت هذا الملفوظ وتأخرته ، وما تحمله من تفخيم الوصف من عظيم صفات المؤمنين ، وعظيم الجزاء ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، ولم يقع كما عبر ابن الزبير في سورة المعارج مايوازي تلك الأوصاف فكان التعبير بالمفرد .

فالبعد التداولي القصدي إذا في استعمال هذا الملفوظ (صلواتهم) دون غيره هو التفخيم ، وإظهار الكثرة والزيادة في الفعل مما يسوغ استحقاقهم للجزاء وهو وراثة الفردوس ، وهو ما يكشف عن البعد الحجاجي لها الاستعمال (الجمع) في الخطاب القرآني .

سبقت آية سورة المؤمنون بأخرى ذكرت فيها الصلاة مفردة وبالأحرى اسم جنس وهو قوله تعالى﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[2].

تمنينا لو أن ابن الزبير تعرض لوجه الجمع وإفرادها في هاتين الآيتين ، فقد اقترنت مفردة بالخوف، وجمعا بالمحافظة عليها .

وتداوليه الاستعمال هنا تكشف عن أسرار المعنى وقصديته الكثير لكنه لم يفعل ، وقد راقنا ما قاله الزمخشري بهذا الصدد :" هما ذِكران مختلفان فليس بتكرير ، وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها يؤدُّها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها ... فقد وجدت أولا ليُفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت ، وجمعت آخرا لتُفاد المحافظة على أعدادها ..."[3].

وكذلك تفسير ابن عاشور في التحرير والتنوير حيث قال :" ...لأن ذكر الصلاة هنالك جاء تبعا للخشوع ، فأريد ختم صفات مدحهم بصفة محافظتهم على الصلوات ليكون لهذه الخصلة كمال الاستقرار في الذهن ، لأنها آخر ما قرع السنع من الصفات "[4] .

---

[1] – المؤمنون/ 11.

[2] – المؤمنون /02.

[3] – الزمخشري ،الكشاف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2009 ،ص704.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس، دط ،1984،ج18 ، ص18.

2-2- الجمع والإفراد في الضمائر :

ومن الآيات المتشابهة التي ورد فيها هذا الاختلاف قوله تعالى في سورة البقرة﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1] وفي سورة الطلاق : ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2] ، ففي الأولى ورد الضمير مفردا في (ذلك) وجمعا في (ذلكم) فكيف وجه ابن الزبير هذا الاختلاف ؟ .

يقول ابن الزبير :" ووجه ذلك والله أعلم أن آية البقرة ترتبت على تصنيف المضرين بالزوجات واحتيالهم على أخذ أموالهن بغير حق ، ألا ترى ما تقدمها من قوله تعالى﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [3] وقوله بعد ذلك ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[4] .

وقد بالغت الآية في زجرهم حين قال الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾[5] ، وهذا من أشد شيء في تعنيف المضرين بهن "[6] .

فقد عاد ابن الزبير في توجيهه لضمير الجمع المتصل باسم الاشارة (ذلكم) إلى العوامل السياقية التي تعلقت بالملفوظات التي سبقته والأفعال الكلامية التي أحرزتها ومن ثم ترتب عنها هذا الجمع .

فقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾[7] نفي ينطوي على فعل كلامي مستلزم وهو النهي عن الاحتيال عنهن بأخذ أموالهن ، وقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[8]، حيث كان النهي صريحا عن الإمساك بهن قصد إلحاق الضرر والاعتداء ، ثم قوله :﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ

---

[1] – البقرة / 232.

[2] – الطلاق / 02.

[3] –البقرة/ 229.

[4] – البقرة / 231.

[5] – البقرة / 231.

[6] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص270.

[7] – البقرة / 229.

[8] – البقرة / /231.

اللَّهِ هُزُوًا ﴾[1] ،فخرج هذا الملفوظ عن قوته الإنجازية الحرفية وهي النهي إلى قوة المستلزمة والمقصودة وهي الزجر والتعنيف ثم يأتي بعدها فهي صريح عن فضل النساء (متعهن) لما فيه من ضرر لهن واعتداء وظلم ، ولأن المنهي عليه في سورة البقرة أبلغ من التعدي وأسوأ في المرتكب من الواقع عليه الزجر في آية الطلاق ، وهو مطلاق بمعروف ودون تعدّ وظلم ، ولكون الخطاب وإن عم فإن المقصود دون المعنيون به هم الممتثلون" ومن المعلوم أن المطلب إذا اعتاص كانت السلامة فيه أعز وسالك طريق النجاة فيه أقل "[2] ، لأجْل ذلك كله كان النسب الإفراد إشارة لقلة المستجيبين المتورعن وقد عزز هذا القصد في الملفوظ قوله تعالى (منكم) للتبعيض والتي تكشف عن المعني بالخطاب والعِظة (المخاطب) وهم ذلك القلة يكمن في المخاطب ، وقصدية الرسالة وما تحمله من معاني صريحة ومستلزمة ما برّر هذا التوجيه.

وخلاف ذلك في سورة الطلاق حيث برر للجمع بقوله : "ولما كان الوارد في سورة الطلاق لأخف من المطالب و أيسر في التكليف ، ترى أن الأحكام المتعلقة بالطلاق وهي التي دارت عليها آيُ هذه السورة كلها فروع ثوان فالسلامة فيها أيسر وسالك طريقها أكثر فناسب ذلك ورود الخطاب بالحرف الذي يخاطب به الجميع ويشملهم فقيل (ذلكم) ولُم يرد هنا إشعار بالتبعيض "[3].

2-3- الاختلاف في صيغ الجمع :

تتنوع صيغ الجمع في العربية من جمع السلامة وجمع التكسير ، وصيغ منتهى الجموع وصيغ جمع القلة ، وأسماء جمع ...وقد ورد من الآيات المتشابهة ما اختلف في صيغة الجمع وإن قلت ، فقد جاء في كتاب الله ثلاثة مواضع فحسب [4] ، سنختار إحداهما كعينة لنرى كيف تعامل الغرناطي مع

[1] - البقرة / 231.

[2] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص 270 ،271.

[3] - المصدر نفسه ، ص271.

[4] - الشثري ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، ص189.

هذا الاختلاف. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]*.

تشابهت الآيتين واختلفا في مواضع عدة ، وما يهمنا نحن في هذا المقام هو اختلافهما في صيغة الجمع لخطيئة بين (خطايا) في سورة البقرة و (خطيئات) في سورة الأعراف فما وجه هذا الاختلاف حسب ابن الزبير ؟

أسهب الغرناطي في تبيان الدلالة الصرفية وصياغتها لكل من صيغتي الجمع خطايا (جمع التكسير) وخطيئات(جمع السلامة) وأورد ما يُعرف عن جموع التكسير عدا الأربعة أبنية (أفعل ، أفعال ، أفعلة وفعلة) أنها ترد في الغالب للكثرة ، أما جمع المؤنث السالم فبابه القلّة .

واستعمال هاتين الصيغتين في الآيات له تأثير على الدلالة القصدية أو ربما هذه الأخيرة هي التي استدعت نوع الصيغة بحسب المقتضى ، وقد أشار ابن الزبير إلى البعد القصدي في سورة البقرة وهو إرادة التكثير ، حيث كان السياق سياق تعداد للنعم التي غمر بها بني إسرائيل، فاستعمل الخطاب القرآني جمع التكسير للدلالة على الكثرة حيث قال :" فطابق الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم " .

وحين لم يكن هناك ما يبين ذات القصد فكان الجمع جمع السلامة ، وقال في توجيه وورد جمع السلامة في الأعراف " فناسب ما ورد في الأعراف من حيث لم تُبِن آيُها من قصد تعداد النِّعم على ما يُبين عليه آيُ البقرة "[3] .

---

[1] – البقرة / 58.

[2] – الأعراف /161.

* في قراءة الجماعة عدا أبي عمرو بن العلاء و أبي عامر .

[3] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص207.

3-الاختلاف بين الآيات المتشابهة في التذكير والتأنيث :

من بين الاختلافات التي رصدها العلماء المشابهة اللفظية في القرآن الكريم الاختلاف في التأنيث والتذكير للمفردة القرآنية ، بحيث نجدها مؤنثة في آية وترد في أخرى مُذكَرة مع إمكان تأنيثها !

وقد وقع اختيارنا على موضع في سورة الأنعام وهو قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[1]، تشابه مع قوله تعالى في سورة التكوير ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] ، والاختلاف واضح بينهما في لفظ (ذكرى) و (ذكر) فما وجه التأنيث والتذكير حسب ابن الزبير ؟.

يقول في جواب ذلك :" آية التكوير لما تقدمها القسم على القرآن بقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾[3]، إلى ما وقع من القسم به ثم ورد ضمير المقسم عليه في قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[4]، أي أن القرآن لقول رسول كريم ،والمراد به جبريل عليه السلام ، ثم اتبع بوصفه إلى قوله :﴿ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[5] ، ثم قيل : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[6]، والإشارة إلى محمد -ﷺ- ثم وصفه :﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾"[7]، ثم أعقب بقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ﴾ أي وما القرآن بقول الشيطان الرجيم ، فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب "[8] .

---

[1] - الأنعام / 90.

[2] - التكوير / 27.

[3] - التكوير / 21.

[4] - التكوير / 19.

[5] - التكوير / 21.

[6] - التكوير / 22

[7] - التكوير / 24.

[8] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص459.

فابن الزبير في توجيهه لقضية التذكير في هذه الآية راعى السياق اللغوي الذي جاد فيه ، فقد سبقت الآية بمتتالية من الملفوظات ورد الضمير فيها مذكرا فناسب فيها أن يكون لفظ (ذكر) مذكرًا .

ويختم توجيهه لهذا التذكير بقوله :" ولا يمكن وروده على خلاف هذا المنافرة التناسب ومباعدة التلاؤم"[1] وهو حكم غير مبرر ، خاصة وأن توجيهه لم يتعد الجانب الملفوظي للآية فلم يرد في توجيهه ما يجزم بأن المفردة (ذكر) في هذا الملفوظ لا يصلح إلاَّ أن تكون ذكرا ،فكأنه أغلق باب الاجتهاد في البحث عن المعنى ووجه الاختلاف ، وهو بحكمه هذا يؤكد قصدية في الملفوظ في الأسماء لم يوضحها .

وقد عاب عليه أحد الباحثين في البلاغة هذا بقوله :" وأحسب أنه من غير اللائق أن يقال : ليس للقرآن إلاَّ أن يقول كذا أو لا يمكن أن يأتي الآية على غير هذا النحو ..."[2].

أما آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى :" ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[3]، فناسب أن تكون المفردة مؤنثة في قوله : ﴿إن هو إلاّ ذكر ﴾، وقدر ابن الزبير الملفوظ ب" إن هو أي الأمر أو المراد المقصود أو ما ذكر في الكتاب ..."[4]، وهنا نلمح البعد القصدي في توجيه ابن الزبير من خلال ترجمة الملفوظ بما يحقق القصد.

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص459.

[2] – إبراهيم عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل، ط1 ،2010، ص47.

[3] – الأنعام / 89.

[4] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص460.

4- الاختلاف بين الآيات المتشابهة في التعريف والتنكير :

ونعني هنا بيان وجه الاختلاف في اللفظة التي وردت معرفة في آية ونكرة في شبيهتها ، والتعريف أنواع في أساليب عدة كالتعريف ب (ال) وهو أشهرها ، والتعريف بالإضافة ، والتعريف بالاسم الموصول ، وباسم الموصول وباسم الاشارة ، بالإضمار وبالعلمية ... وقد بسط العلماء القدامى نحويون وبلاغيون في هذا الباب علما وفيرا واعتنوا به أشد ما عناية[1].

واهتم علماء المتشابه بالآيات المتشابهة المختلفة في تعريف المفردة منها أو تنكيرها أو اختلاف نوع تعريفها ، وعنوا بأكثر الأنواع ورودا وهي التعريف ب(ال) وإفادتها للعهد أو الاستغراق ، وكذا التعريف بالاسم الموصول وتعرضوا للفروقات بين الموصولات (الذي ،ما ،من ..) ، والمعرف بالإضافة ومزيته عن المعرف ب(ال) ، كما عنوا بأغراض التنكير[2] .

وفيما يلي سنقتصر على آيات متشابهة اختلفت في التنكير والتعريف ب(ال) والتعريف بالاسم الموصول ، وبالإضافة .

4-1- التعريف والتنكير بالألف واللام :

وقد اخترنا من الآي المتشابهة قوله من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[3]، حيث وردت (بلدًا) نكرة ،ووردت معرفة في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَاالْبَلَدَ آمِنًا﴾[4] ، وقد حدد ابن الزبير نوع هذا التعريف وهو تعريف ب (ال) العهد ثم وضح وجه الاختلاف .

وقبل أن نحلل توجيه الاختلاف حسب الغرناطي يحسن بنا الوقوف بعض الشيء على (ال) العهد وأهميتها الإشارية والتواصلية ، ف (ال) العهدية تعطي الاسم النكرة درجة من التعريف

---

[1] - انظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص177-201 ، عباس حسن ، النحو الوافي، ج1،ص206-207.

[2] - انظر : إبراهيم بن عبد العزيز الزيد ، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، ص150- 151.

[3] - البقرة / 126.

[4] - إبراهيم / 35.

تقربه من درجة العلم الشخصي ، والكلمة المشتملة على (ال) العهدية تكون معهودة بين اثنين هما المتكلم والمخاطب ، وتقسم إلى ثلاث أنواع هي العهد الذكري والعهد الذهني والعهد الحضوري، فأما العهد الذكري وهو ما تندرج ضمنه مفردتنا (البلد) فهو ما عهد مدلول مصحوبها بأن تقدم ذكره لفظا فأعيد مصحوبا بـ (ال).

وتكون (ال) العهدية عملية التبادل المعرفي ، فالعهد يكون نتيجة لوجود معلومات سابقة مشتركة بين المرسل والمخاطب ، فالمرسل يعرف أنها موجودة لدى المتلقي ، كما تتصف (ال) العهدية بجمالية خاصة لما تقوم به من علاقات تلويحية ذهنية جمالية[1] .

يرى ابن الزبير أن الملفوظ في سورة البقرة ورد فيه لفظ (البلد) نكرة لأن اسم الإشارة (هذا) قبله لم يقصد أنه يكون له تابع يوضحه لأنه اكتفى بما وقع قبله من قوله تعالى :﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[2] وقوله:﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾[3] ،فأغنى التعريف البيت عن تعريف البلد " فورد اسم الإشارة غير ... إلى التابع المبين جنسه "[4] ، فمعلوم أن " اسم الإشارة اسم مبهم ووجه إبهامه ...وصلاحيته للإشارة به إلى كل جنس وإلى كل شخص وأن الاسم المعرف بعده تابع يؤتى به لبيان جنسه وتوضيحه ، لكنه كان نكرة " فانتصب (بلدا) مفعولا ثانيا و(آمنا) نعتا له ، واسم الإشارة مفعولا أول "[5]

[1] – انظر : أبو يوسف ومحمد الثامي ،الإحالة ب (ال) العهدية ودورها في التماسك النصي ، مجلة جامعة الأقصى ، العدد2، مج21، يونيو 2017 ، ص06.

[2] – البقرة / 125.

[3] – البقرة / 125.

[4] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص234.

[5] – برير محمد أحمد ،أسماء الإشارة ،دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ،جامعة الخرطوم ،2007 ،ص23.، نقلا : الكفراوي ، شرح الكفراوي على الأجرومية

ويرى ابن الزبير أن (بلد) لو عرف لما أحرز بيانا زائدا وسيكون كالتكرار ، فكان تنكيره أحرز للإيجاز كما أن مقصدية الملفوظ حاصلة – حسبه- لوجود ملفوظات سابقة وضحت مقصدية هذه الآية .

أما آية سورة إبراهيم لخلاف ذلك ، لم يتقدمها ما يوضح اسم الإشارة ويقوم له مقام التابع ، ويؤكد ابن الزبير أن التنكير هنا لا يحسن ولا يناسب .

ويلاحظ اعتناء ابن الزبير بالجانب النحوي للملفوظ و أثره على مقصديته بداية بتحديد دلالة (ال) التعريف وتصنيفها للعهد ، إلى لفتاته الإعرابية المفضلة :" ...على المعهود له في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب عطف بيان على قول الخليل أونعتا على ظاهر من كلام سيبويه وانتصب اسم الإشارة المتبع على أنه مفعول أول و(آمنا) على أنه مفعول ثان "[1]

ومنه فقد اعتمد ابن الزبير في توجيهه السياق اللغوي للملفوظ ، ثم أورده توجيه آخر يعتمد على المقام وسياق الموقف التواصلي وهو رأي الخطيب الإسكافي صاحب درة التنزيل[2]، حيث يرى هذا الأخير أن إبراهيم – عليه السلام – قصد ... بملفوظه هذا جعل المكان بلدا آمنا واكتفى عن ذر الموضع بالإشارة إليه ، أما في سورة إبراهيم فقد أطلق هذا الأخير الملفوظ بعد استقراره بلدا ، فالفارق بين الآيتين هو الزمان (قبل وبعد الاستقرار) والمكان فهو قبل الاستقرار أرضا قاحلة غير مأهولة ، وبعد المستقر بلد بسط ابن الزبير القول في توجيهه الإسكافي ثم نقده واستبعده فقال :" وهو عندي بعيد إذ ليس بمفهوم من لفظ الآي وهو بعد ممكن "[3].

4-2-التعريف بالاسم الموصول :

عني علماء البلاغة كما أسلفنا الذكر بالأسماء الموصولة ، على قائمتها (الذي) حيث أفرد الجرجاني له فضلا في كتابه " دلائل الإعجاز " يقول فيه :" اعلم أن ذلك في الذي علما كثيرا

[1] – الكفراوي ، شرح الكفراوي على متن الأجرومية، ص235.

[2] – الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل ،ص23.24.

[3] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص235.

وأسرار جمة ، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس ، وتثلج الصدر ، بما يقضي إليه من اليقين ويؤديه إليك من حسن التبيين "[1].

كما كانت لابن الزبير آراء فيها ولفتات في هذا الموضوع ،، مركزا حديثه على (الذي) معتبرا إياها أصل الموصلات ويذكر الفروق بينها وبين (ما) ، ويذكر الفروق بينها وبين (ما) و(من)، فيقول :" اعلم أيضا أن لفظ الذي وما تصرف منه للمثنى والجموع أصل في الموصلات إذ لا يخرج لفظ الذي عن الموصولية ، أما (من) فإنها تخرج إلى الاستفهام والشرط وغيرهما "[2].

ويميز بين (الذي) و (ما) بالعهدية حيث :" أنك لاتصل (الذي) إلاَّ بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرفه له "[3].

فيقول عن (ما) :"وإن كانت موصولة فليس فيها العهد ما في (الذي) وفي الألف واللام...وهذا فرق واضح لأن ما تفارق الموصولية فتخرج إلى الإبهام فلا تكون فيها عهدية ، أما (الذي) لا تفارق ولا تخرج فالعهدية فيها لازمة "[4].

هذا وقد اخترنا هاهنا في الحديث عن الاسم الموصول الاختلاف في الآية الكريمة : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5] ، والآية ما بعدها : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]، من سورة النحل ، مع قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا

[1] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص190.
[2] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص530.
[3] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص200.
[4] – ابن الزبير ، المصدر السابق ،ص288.
[5] –النحل / 96.
[6] – النحل / 97.

وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فوردت في هذه الآية (الذي) مكان (ما) في آيتي النحل، فما وجه ذلك ؟

في آية النحل الأولى في قوله :﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾[2] ، يرى ابن الزبير أن هذا الملفوظ باستعماله للمكون (ما) الموصولية قصد به الإطلاق والعموم فكانت أولى من (الذي) ، لأن العهدية في هذه الأخيرة أغلب من الجنسية (استغراق الجنس) ، أما (ما) فالإطلاق أملك بها ، وهو هنا المقصود .

ويشير ابن الزبير إلى أن الملفوظ راعى المعنى المقصود منه ويقدِّرهُ بالقول :" كل ما عندكم ينفذ وكل ما عند الله باقٍ "[3] ثم للمناسبة اللفظية والسياق اللفظي ناسب ورودها في قوله تعالى ﴿أَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] بـ (ما) الموصولية .

وفي آية النحل الثانية ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5] ،فقد أجريت مجرى الآية التي قبلها ، و(من) أقرب ل(ما) من (الذي) لما بينهما من الاشتراك في المعاني (الابهام ، الاستغراق ، الإطلاق)، بخلاف الذي ،وقد عزز الاستغراق في الملفوظ قوله تعالى :" من ذكر أو أنثى " وعلى هذا تكرر نفس الملفوظ لمناسبة السياق اللفظي حيث ينتميان لنفس السياق التواصلي .

أما في الزمر فكانت القصدية فيها نحو طائفة بعينها ، حيث يعود ابن الزبير بالآيات إلى وراء قوله تعالى :" والذي جاء بالصدق وصدق به " والمقصود بالذي ما ، بالصدق في هذا الملفوظ

[1] – الزمر/ 35.
[2] – النحل / 96.
[3] –ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص762.
[4] – النحل / 96.
[5] – النحل / 96.

هو رسول الله -ﷺ- والذين صدّقوا به أصحابه كأبي بكر – رضوان الله عليهم – فهم خاصة مقصودون في هذا الملفوظ، وترجع إليهم الضمائر في قوله تعالى :

﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1] ، وقوله : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[2] ، فلم تكن لتناسب غير أداة العهدية (الذي)[3] .

ومنه فوجه الاختلاف بين هذه الآيات كان المشار إليه في الاسمين الموصولين ، نحين كان العموم والإطلاق دون قيد كان الملفوظ الأنسب هو (ما)و(من) ، وحين خصت فئة معينة كانت (الذي) الأنسب ،تبعا لقصدية الخطاب القرآني المذكور آنفا ، وجاءت الآيات المتشابهة في تناسب مع السياق اللغوي التواصلي الذي سبقهما.

4-3- التعريف بالإضافـــة :

وأجمل ما جاء في التعريف بالإضافة ما كانت الإضافة فيه إلى الربّ –جلّ وعلا – لما فيه من قرب وأنس ، كقوله تعالى في سورة المائدة : يبغون فضلا من ربهم ورضوانا " ،وفي سورة الفتح :" يبتغون فضلا من الله ورضوانا " ، فما الذي أوجب اختصاص سورة المائدة بما ورد فيها من إضافة اسم الرب (ربهم) بخلاف سورة الفتح؟

يرى ابن الزبير أن المكون الملفوظي (من ربهم) في آية سورة المائدة كانت قصديته التأنيس والتلطف والتقريب ، وكذا التخويف والترهيب .

فقد سبق الملفوظ افتتاح " بنداء للمؤمنين " ، ووصفهم بهذا الوصف والذي فيه تصنيف وتكليف ، فكان التأنيس هو الفعل الكلامي والقصد الذي نتج عن هذا الملفوظ ، وعزَّزه قوله تعالى(من ربهم) ، فقد أوحت هذه الإضافة للَدُنه –عز وعلا – إلى قصد تقريبهم منه ، هذا

[1] – الزمر / 33.

[2] – الزمر / 34.

[3] – انظر : ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص763-764.

التقريب له أثر يصنف كفعل تأثيري وهو قصد القصد ، والذي هو شعور المكلف (المخاطب) بالقرب والنسب في المقابل الخوف الناتج عن هذا القرب لأن الجرم القريب أشنع ، وكذا أفعال النهي المذكورة " لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا.. البيت الحرام ".، وما كان منها من تخويف .

أما في سورة الفتح يكن القصد من الملفوظ التلطف والتأنيس أو التخويف . كما في سورة المائدة ، برغم الاتفاق في باقي عناصر العملية التواصلية ، فلم يرد ما ينتج تلك القصدية .

5- الاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار الحرف

الحروف العربية نوعان ، حروف المباني وحروف المعاني ، فحروف المباني هي الحروف التي تبين منها الكلمة وهي حروف الهجاء ، أما حروف المعاني فهي تلك الأدوات التي تجري في كلام العرب لإعطاء مختلف الدلالات ، وهي حروف العطف ، حروف الجر ، حروف الشرط ، حروف النفي ...وغيرها .

وكل حرف من هذه الحروف يأتي على معان عدة لا يحصرها إلاَّ السياق وهو جعل البحث في الحروف المعاني يكتسي من الأهمية ما تشغل أذهان علماء النحو والبلاغة وأرّقهم ، وتحضرنا هنا مقولة سيبويه الشهيرة :" أموت وفي نفسي شيء من حتى " ، وهذا الإمام المرادي يفرد لها مؤلفا قيّما يقول فيه :" فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبينا أكثرها على معاني حروفه صرفت ...إلى تحصيلها ، ومعرفة جملتها وتفصيلها ، وهي مع قلّتها وتيسرّ لوقوف على جملتها قد كثر دورها وبعُدَ غورها ، فعزّت على الأذهان معانيها وأبت الإذعان إلاَّ لمن يعانيها "[1]

[1] – المرادي الحسن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، تح : فخر الدين قباوة ومحمد نديم الفضل ، دار ...العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1992، ص19.

، وقد أثبتت الدراسات التداولية العربية حديثا ما لهذه الحروف من قِوى إنجازية تدعم الفعل الكلامي[1]، ولهذا ارتأينا أن نخوض في بعض الآيات المتشابهة التي اختلف في اختيار حروف المعاني .

5-1- الاختلاف في حروف العطف :

من معاني حروف (الفاء) الترتيب والتعقيب ، وتتميز عنها (ثم) بالتراخي في الزمان إلاَّ أنها قد تخرج حسب الاستعمال إلى دلالات أخرى يستدعيها الواقع التواصلي ، وقد كانت لابن الزبير إشارات عن معانيها وخصائصها حيث يقول :" إنَّ (ثُمَّ) للتباين والتراخي في الزمان ، ويعبر النحويون عن ذلك بالمهلة وتكون للتباين في الصفات والأحكام وغير ذلك ...ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[2] وقوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾[3] ،ثم عطف بقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾"[5] ، ولم يقصد في شيء من هذا الترتيب زماني بل تعظيم الحال فما عطف وموقعه ومكانته وتحريك النفوس لاعتباره "[6]

وقد اخترنا من المواضع العديدة التي وجدت في هذا المضمار قوله تعالى :" ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه وأعرض عنها "[7] ومن سورة الكهف ، وقوله :" ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها"[8] من سورة سجدة لقمان ، فما وجه ورود آية الكهف بفاء التعقيب وآية السجدة بثم المقتضية المهلة ؟

---

[1] – انظر : مسعود صحراوي ، التداولية عتد علماء العرب ، ص97.

[2] – المدثر/ 19 – 20.

[3] – البلد / 11.

[4] – البلد / 17.

[5] – طه / 82.

[6] –ابن الزبير، ملاك التأويل ،ص575.

[7] – الكهف / 57.

[8] – السجدة / 22.

ويسوق ابن الزبير سببا مقنعا لتنوع حرف العطف في الآيتين إذ يقول :" إن سورة الكهف مكية والخطاب فيها من أولها إلى الآية المتكلم فيها لم يخرج إلى غير العرب ... فقوله في الآية المذكورة " بآياته ربه " والمراد بالآيات القرآن الكريم ودلائله الواضحة وإن كان لفظا مقتضيا كل ما يسمى آية إلاَّ أنه آية القرآن أعمد ما قصد هنا ...والحجة قائمة عليهم عقب سماعهم وتدبرهم ، فورد بالفاء المقتضية التعقيب على ما يجب .

وأما آية السجدة وإن كانت السورة مكية أيضا ، فإن الآية عامة في حق العرب وغيرهم ، والإخبار فيها إنما هو عن جميع من شاهد آية بينة وكذب ... فالمراد بهذه الآيات كل ما قامت به الدلالة ووضح منه الشاهد ... فلما انطوت الآيات في قوله تعالى " بآيات ربه " من النعيم بحسب الشاهد مما اقترن بها على ما لا يتوقف فيه ذو العقل إلاَّ أن يمعنه مانع من ذلك ، عظم مرتكب المعرض فعطف بثم ... استبعادا للتوقف عن الإيمان والتصديق عن مشاهدة ما لا عليه من الدلائل"[1].

ونلاحظ أن أول ما نبّه إليه ابن الزبير أن هذين الملفوظين المتشابهين يشتركان في كونهما مكيتين في محاولة لحصر عناصر الخطاب عللا الأقل الزمان والمكان ،إلاَّ أن ما أحدث الفرق هو من قيلت في حقهم الآية (الهو) ، فالآية الأولى الملفوظ المقصدون به هم العرب فحسب ، أما في سورة السجدة فقصد منها العرب وغير العرب ، وقد كني عليهم في الآيتين ب (من ذكر بآيات ربه)، وقد استعان ابن الزبير بالسياق اللغوي لمعرفة المقصود من خلال دلالة (آيات) التي اختلفت حسب السياق التواصلي ، فآيات في سورة الكهف المراد منها القرآن الكريم بدليل الآيات قبلها ومنها قوله تعالى: "ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل " أما (آيات في سورة السجدة فالمراد بها كل ما قامت به الدلالة ووضح منه الشاهد كما عبر ابن الزبير ، كناقة صالح –عليه السلام – وانطلاق الصخرة عنها ، وانقلاب عصى موسى –عليه السلام– وانشقاق القمر لنبينا الكريم –عليه الصلاة والسلام – وغيرها مما لا يحصى من آيات الرسل .

[1] – ابن الزبير، ملاك التأويل ،ص ص783– 785.

وقد استعمل الخطاب القرآني في سورة الكهف فاء التعقيب حين اعرضوا عقب سماعهم الذكر وتدبرهم ، لكنه اختار استعمال (ثم) في السجدة حين كثرت الآيات وتعاقبت ، فمعظم مرتكب المعرض عنها فعطف ب(ثم) استبعادا واستعظاما.

نستطيع القول إذن أن المكون الملفوظي المتمثل في حرف العطف (ثم) شكل في الملفوظ قوة إنجازية إضافية تمثلت في الاستبعاد والاستعظام ، استعظام الإعراض عن آيات الله واستنكار ذلك ، حيث أن الإنكار هو القوة المستلزمة للفعل الكلامي في الملفوظ والذي خرج عن قوته الحرفية المتمثلة في الاستفهام (من أظلم ...؟).

5-2-الاختلاف في حروف الجر :

كثيرا ما تنوب حروف الجر عن بعضها إلا أنها لا تعطي الدلالة ذاتها بل أن هناك فروقات دقيقة تحدثها ، وتحراها علماء التشابه كل حسب رؤيته ، وما وفق إليه من النظر ، بل و أكثر من ذلك قد يكون الحرف مساهما في تحديد دلالة اللفظ نحو (يرغب في / يرغب عن) فالأولى دلت عن حب الشيء ، والثانية عن كراهيته والإعراض عنه ، من ذلك لفظ الايمان في قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾[1] في سورة الأعراف ، وقوله في سورة طه ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾[2] فكيف وجه ابن الزبير هذا الاختلاف ؟ .

يرى ابن الزبير أن الإيمان في الآيتين المقصود به التصديق والانقياد إلا أن "الباء تحرز التصديق واللام تحرز الانقياد وإذعان فبدأ بالباء معطية معنى التصديق فهي أخص بالمقصود من اللام ، فأقتضى التركيب تقديمها ثم أعقب في السورتين بعد باللام "[3]

ومنه فقد راعى ابن الزبير في توجيهه لهذا المكون الملفوظي (آمنتم) السياق اللغوي، فباقترانه بالباء يكون القصد هو التصديق وأما اللام فتعطي لهذا الفعل الكلامي (التصديق) قوة إضافية

[1] - الأعراف / 123 .

[2] - طه / 71. الشعراء / 49..

[3] -ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص 572.

والتي أشار إليها سيرل في معاييره التصنيفية : الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول ، والشدة هاهنا تمثلت في قوة التصديق لدرجة الإذعان والانقياد .

وقد حاول ابن الزير ترجمة قصدية الملفوظ بقوله :" كأن قد قيل لهم : أصدَّقتموه منقادين له دعائه إلى الإيمان بما جاء من عند الله فحصل المقصود على أكمل ما يمكن "[1]

ولا يغيب عنا أن ابن الزبير هنا لم يعط توجيها لاختيار حرف الجر سوى ترتيب السور أو النزول –وهو غير كاف – إنما ركز نظره على ما أحرز كل حرف في الملفوظ من معنى .

إلاَّ أن قصدية الملفوظ ربما تحمل أكثر من هذا ، ولفت انتباهنا في هذا الموضع توجيه الإسكافي للآيتين حيث يرى لأن (آمنتم به) الضمير في (به) المراد منه الله رب العالمين ، أما (آمنتم له) فالقصد منها موسى –عليه السلام- [2] وهو فيما يرى لا يتعارض مع توجيه ابن الزبير بل يكمله .

5-3-الاختلاف في حروف النفي :

أدوات النفي أيضا كغيرها من الأدوات وإن اتفقت في دلالة النفي فإن تتمايز عن بعضها بفروق تختص بها كل أداة عن الأحرف ، ولسنا هنا في معرض تفصيل في دلالاتها إلاَّ أننا سنورد أنموذجا يختصر القول مما تناوله ابن الزبير في كتابه بهذا الصدد ، وقد اخترنا قوله تعالى في سورة البقرة :﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3] ، وقوله في سورة الجمعة :﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [4] ، ويتساءل ابن الزبير عن سر الاختلاف في أداة النفي في الآيتين " (لن يتمنوه) (ولا يتمنونه) برغم اتحاد الأخبار كما عبر !

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل، ص572.

[2] – انظر : الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ،ص177.

[3] – البقرة / 94.

[4] – الجمعة / 07.

وربما يقصد هنا باتحاد الأخبار اتحادُ أغلب عناصر الخطاب أو الحدث التواصلي للملفوظين ، فالسر يكمن في الفرق بين عناصر الخطاب التداولي للملفوظين ، والذي على رغبة اختلف الملفوظان المتشابهان .

يقول ابن الزبير :" أن آية البقرة لما كان الوارد فيها جواب لحكم أخراوي يستقبل وليس الحال منه إلاَّ زعم مجرد اعتقاد أن الأمر يكون كذلك ناسبه النفي بما وضعه من الحروف لنفي المستقبل ..ولما كان الوارد في سورة الجمعة جوابا لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس كذلك حكم دنياوي ووصف حالي لا استقبال فيه ناسبه النفي بلا "[1] .

فالملفوظ في السورتين كان عقب خطاب موجه لبني إسرائيل أو الذين هادوا كما ينعتهم الخطاب القرآني ، ويشير في سورة البقرة إلى اعتقادهم بأن الدار الآخرة لهم ، فيأمر نبيه بأن يتحداهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين ، لذا ناسب أن يكون النفي للاستقبال ليلتحقوا بأخراهم ، أما في سورة الجمعة فقد كان الرد على دعواهم بأنهم أولياء الله ، وهو أمر دنيوي ، فتحداهم بأن يتمنوا الموت لأن أولياء الله لا يخشون لقاءه فتناسب الخطاب الحاضر ، لأن حاضرهم أولياء الله حسب اعتقادهم .

فالفارق إذن في الزمن الذي تعلق بفعل الكلام والذي هو التحدي في كل من الملفوظين والناتج كما سبق سياق تواصلي ، وكان هذا الفعل أقوى من الأداة (لن) التي أسهمت في قوته الإنجازية لكونه يستغرق الحاضر والمستقبل ، وعزز هذا الفعل بأن أردف مؤكدا بالتأبيد (أبدًا) فكان القول أبلغ للمعنى والقصد.

6- الآيات المتشابهة في الذكر الحذف:

قديما قال العرب في أمثالهم " تقرع العصا لذي علم " ، أي يدرك ذو العقل والرجحان والفطنة اللماحة المراد والقصد بمجرد القرع والتنبيه فتكفيه الإشارة عما طوته واختصرته من الإفصاح ، وقد

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص227.

كان اللسان العربي منذ القديم مبنيا على الإيجاز في معظم تعبيراته ، فحذف ما يعلم وطيُّ الكلام من مزايا العربية لما تميز به العرب القدامى من حدة ذكاء وفطنة ، فيكفيهم الإلماح والرمز ، وتقنعهم الإشارة عن صريح العبارة فتُدرك المقاصد .

وكثيرا ما يعمد المتكلم إلى الحذف استنادا لدواع بلاغية ترجحه عن الذكر ، إذا أُمن إدراك المخاطب للمعنى ، وأدنى تلك الدواعي الإيجاز والاقتصاد في القول ، والمشاركة الفنية والوجدانية للقارئ أو المخاطب .

ولما يحرزه الحذف والذكر من جمال في الأسلوب وروعة العبارات يوازيه تكاثر وتكثيف في الايحاء ، فقد اهتم أهل البلاغة به منذ القدم فكان الجرجاني من بسط فيه الكلام وأظهر أسراره ، وجماله الفني ، حيث يرى أن الحذف ما يسهل على المخاطب إدراكه بالقرائن والإشارات مما يرفع مستوى الكلام إلى مراتب عليا في البلاغة والإبداع الجمال إذ يقول في مقدمة حديثه عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن "[1].

6-1- ذكر الحروف و حذفها:

من ذلك قوله تعالى في سورة طه :﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[2]، وفي سورة غافر : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] ، فورد اللفظ (آتية) مؤكدة باللام في سورة غافر ، فما وجه ذلك ؟

[1] - الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص146.

[2] - طه / 15.

[3] - غافر / 59.

يقول ابن الزبير :" إن آية طه وردت أثناء خطاب الرسول -ﷺ- بالتأنيس والتسلية كما يلقاه من مكابدة قريش وسائر كفار العرب... فلم يكن يناسب ذلك تأكيد الخبر عن أمر الساعة إذا هو – عليه السلام – من أمرها أوضح الجادة ، أم آية غافر فإن قبلها تعنيفا للكفار من قريش وغيره... فناسب ذلك من حالهم تأكيد الأخبار عن إتيان الساعة بدخول اللام ... تحقيقا للآمر وتأكيد لما في طي ذلك من وعيدهم بسوء مالهم "[1] .

ومنه فعلة اختلاف الملفوظ في الآيتين كان بداية المخاطب ، حيث أن المخاطب في سورة طه هو الرسول -ﷺ- بينما في سورة غافر المعني بالخطاب هم كفار قريش وغيرهم ، وترتب عن الاختلاف في الخطاب اختلاف في الفعل الكلامي ، فالملفوظ الموجه لرسول الله يحمل التسلية له وتأنيس وطمأنينة ، إضافة إلى أن رسول الله -ﷺ- لا يحتاج لأن يؤكد له إتيان الساعة فهو أول المصدقين بها ، فلم يكن من داع لتوكيد الفعل ، لكن في سورة غافر لما كان من موقف الكفار كان الأنسب توكيد الفعل الكلامي ، حيث يحمل في طياته قصدية مغايرة وهي تعنيف ووعيد بالكفار بالسوء مالهم ، فقد أهملت هذه اللام في تقوية إنجازية الفعل في الملفوظ الثاني .

6-2- ذكر الكلمة و حذفها:

تحذف الكلمة القرآنية بمختلف مواقعها ، لدواع يكتشفها المقام التواصلي ، وقد تذكر لإحراز معنى مقصود أو تأكيده ، ومن المواضع التي وقع فيها الذكر والحذف في المفردة القرآنية قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[2] من سورة الانعام وفي سورة

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص ص815 ،816.

[2] – الأنعام / 94.

الكهف قوله تعالى :﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[1] .

يقول ابن الزبير "ومرمى الآيتين واحد فيسأل عن زيادة فرادى "[2] في آية الانعام ؟ والأرجح أن قصده من مرمى القصد فلا طالما عبر عليه على غرار اللغويين القدامى بالغرض ومراد والمعنى .

ويقول في جواب سؤاله : "إن ذلك مراع في الانعام ما أعقبت به من قول ...وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم فيكم شركاء أي منفردين عن ما كنتم تؤمنون من أندادكم ومعبوداتكم ... فليراعي هذا المعقب به في آية الانعام ما قيل فيها ... أما آية الكهف ... لم ذكر ولا إشارة إلى ما عبَدَ من دون الله فلهذا لم يقع هنا (فرادى)"[3] .

ومنه فالمكون الملفوظي (فرادى) الذي انفردت به آية الانعام كان نتيجة توجيه الخطاب إلى مخاطبين مشركين ضالين ، فكانت (فرادى) معبرة عن قصد مضمر وهو أن هؤلاء الشفعاء الشركاء لن ينفعوكم ولعل صيغتها وهي صيغة منتهى الجموع (فعلى) جاءت لتبين أنهم على كثرتهم يوم الحشر فيتقدمون فردا فردا .

ولو أن ابن الزبير لم يشر إلى نوع الكلمة أو دلالتها صراحة .

أما في سورة الكهف فالخطاب موجه إلى فئة أعم بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[4] ، ولم يقع ذكر أو إشارة إلى ما عبد دون الله ، لم يحتج الخطاب القرآني بإضافة (فرادى)

ومنه فحذفها وذكرها فقد اعتمد على المخاطبين وأحوالهم والحذف والذكر ما هي إلا اشكال وخبرات الذي يحدده الواقع التواصلي.

[1] - الكهف / 48.
[2] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص461.
[3] - المصدر نفسه ، ص 461.
[4] - الكهف / 48.

6-3- ذكر الجملة و حذفها:

اخترنا تحت هذا العنوان الاختلاف اللفظي القائم بين قوله تعالى في سورة المائدة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1] ،وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2]، من سورة إبراهيم

ويتساءل ابن الزبير عن موجب الافتتاح في سورة المائدة بالنداء وعدم وقوعه في سورة إبراهيم وعن وجه الفرق !

ويجيب قائلا :" أنه لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب من الآلاء والنعم الجِسام من جعل الأنبياء فيهم وجعلهم ملوكا وإعطائهم ما لم يعط غيرهم كان ذلك تعريفا باعتنائه سبحانه بهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقدمهم من أمر الأنبياء قبلهم فناسب ذلك نداء موسى عليه السلام إياهم بقوله (ياقوم) بالإضافة إلى ضميره إنباء بالقرب والمزية ... ولما قصد في سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون و...و... فناسب ذلك الاقتصار على خطابهم دون النداء رعيا للمناسبة"[3].

ومنه فما يمكن قوله استنادا لتوجيه ابن الزبير أن اختلاف الملفوظين المتشابهين في هاتين السورتين كان نتيجة وقوع كل منهما في سياق مختلف عن الآخر.

فالنداء في سورة المائدة (ياقوم) هو فعل كلامي قوته المستلزمة هي التنبيه والتشريف ، هذه القوة اكتسبها من السياق الذي قيل فيه وهو مقام التذكير بما خص الله به بني إسرائيل من نعم وآلاء لم تكن لغيرهم من العالمين ، ويدعم هذا الفعل الضمير الشخصي الدال على المتكلم موسى

[1] - المائدة / 20.

[2] - إبراهيم / 06.

[3] - ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص385.

عليه السلام (الأنا) في (يا قوم) والتي الأصل فيها (ياقومي) والذي يشير إلى علاقة القرب والمزية بين المتكلم (موسى) والمخاطب (بني إسرائيل) . ومنه فقد أسهم السياق العاطفي في تحديد عناصر الملفوظ في الآية الكريمة بإضافة (يا قوم) لتحقيق القصدية المذكورة آنفا . وهو ما لم يكن في آية سورة إبراهيم حيث جاءت في سياق تذكيرهم بنجاتهم من فرعون ومايسومهم به من ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم فلم يكن من داع لذكر النداء.

6-4- ذكر القيد وحذفه:

ذكر القيد وحذفه من الظواهر الأكثر ورودا من سابقاتها، وقد وقع اختيارنا على موقع تبرز فيه بوضوح تداولية الخطاب القرآني المتشابه لفظا ، وهو قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ،وقوله :﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] من سورة هود .

حيث تكرر ضمير الخطاب المجرور (لكم) في سورة الأنعام وحذف ولم يتكرر في هود . فيُسأل عن ذلك ؟

يوضح ابن الزبير أن الملفوظين برغم التشابه إلا أنهما وقعا في حدثين تواصليين مختلفين تماما وهو ما أحدث هذا الاختلاف الذي يبدو طفيفا إلا أن له دلالة عميقة تختبئ خلفه.

فالمتكلم في آية هود هو نوح -عليه السلام - والمخاطب قومه ، أما الفعل الكلامي لملفوظه فقد كان التلفظ والإشفاق من حال قومه، والذي يكشف عن قصدية المتكلم من إرادته نجاةَ قومه

[1] - الأنعام / 50 .

[2] - هود / 31 .

وإشفاقه عليهم من أخذهم بمرتكباتهم . وهذا القصد لا يتلاءم مع تكرار القيد (لكم) لما فيه من تكراره وتأكيده من تعنيف وتوبيخ، لذا جاء على ما هو عليه .

أما في الأنعام فالمتكلم هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم – والمخاطب هو عُتاة قريش والعرب، أما القصد أو الفعل الكلامي للملفوظ فكان بخلاف آية هود ، كان توبيخا وتقريعا لهؤلاء.

ويؤكد ابن الزبير في توجيهه أن قصدا كهذا يصدر عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لا يمكن أن يشمل مخاطبا كأبي بكر الصديق وصحابته –رضوان الله عليهم – ، إنما عني به أمثال من يقولون: " مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا..."[1].

وقد أسهم تكرار القيد (لكم) في إبراز قصد التوبيخ والتقريع وفي تخصيص المخاطب بمقصود الكلام .

هذا و يلاحظ في توجيه ابن الزبير الربط الوثيق بين القصدية والمتكلم وعلاقة القصدية بالمخاطب وأحواله وعلاقته بالمتكلم .

7–التقديم والتأخير

التقديم و التأخير من الأساليب البليغة التي شدت علماء النحو والبلاغة قديما وحديثا للعناية بها لما فيه من فوائد جمة ولطائف بديعة ، يقول فيه عبد القاهر الجرجاني :" هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعةٍ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال

[1] – ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص ص 456،457 .

ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فجدك سبب أن راقك و لطف عندك ، أن قدِّم فيه شيء، و حوِّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان "[1].

ويرى فيه الزركشي دليلا على فصاحة قائله و قوة ملكته ولغته الطيعة حيث يقول :" هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"[2]، ثم يفصل تفصيلا رائعا في أنواعه و مقتضياته ، ومن قبلهم سيبويه الذي يقول فيه "كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى "[3] .

والتقديم والتأخير ظاهرة تداولية بامتياز؛ فهو أسلوب يلجأ إليه المتكلمون ليعبروا عن مقاصد معيّنة تختلف بكل تأكيد عن المقاصد التي تؤديها الجملة إذا وردت على ترتيبها الأصلي ، فتحريك أي مكون من مكونات الجملة إلى مكان ليس له في الأصل يُنبئ عن قصد وغاية[4].

ولأهمية هذه الظاهرة آثرنا معالجة موضعين فيها .

الموضع الأول قوله تعالى :﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾[5] ،من سورة البقرة وقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[6].

حيث تقدم ذكر الإخفاء في سورة آل عمران ، وتأخر في آية البقرة، مع أن الحاصل في الآيتين واحد وهو تعريف العباد بإحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن ، فقد اختلفت الآيتين في تقديم وتأخير بعض عناصرها، فما وجه ذلك ؟[7].

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 106

[2] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص233.

[3] – سيبويه، الكتاب ، ج 1 ، ص 127.

[4] – عبد الزهرة عزدة جبر، التقديم والتأخير في الدرس اللغوي العربي مقاربة تداولية، مجلة الأستاذ ، ملحق خاص بالمؤتمر العلمي الثالث لسنة 2015 ، ص2.

[5] – البقرة / 284.

[6] – آل عمران / 29.

[7] – ابن الزبير، ملاك التأويل، ص ص 289، 280.

يبرز هذا الاختلاف ملفوظية الآيتين المتشابهتين حيث تترتب عناصر كل ملفوظ منهما بحسب الحدث التواصلي الذي قيل فيه والذي يختلف في كل آية –كما سنرى– عن الأخرى.

ففي سورة آل عمران المخاطب هو المنافقون الذين من صفاتهم إخفاء الإيمان وإبداء الكفر، فالله سبحانه وتعالى يعلمهم بأنه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون، لأنهم يبنون كفرهم على ما جهلوه من علمه سبحانه بخفيّات ضمائرهم، فهذا وجه تقديم الإخفاء.

أما في آية البقرة فالمخاطب هو المؤمنون فيما يخصهم من الأحكام ، فقدم فيها باديَ أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين. ووضح ابن الزبير أن تقديم الإخفاء مطرد في كثير من الآيات حين يكون المخاطب أو المعنيّ هم أهل الكفر، وتقديم الإبداء إذا تعلق الخطاب بأهل الإيمان.

ومنه فقد كان للمخاطبين وأحوالهم أثر بارز في ملفوظية الآيتين المتشابهتين وتداولية الخطاب القرآني من خلال إعادة ترتيب عناصره وفقا للواقع التواصلي .

أما **الموضع الثاني** فقوله تعالى : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[1] في سورة الأنعام ، وقوله من سورة الأعراف ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ *الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾[2]، فقد تقدم اللعب في سورة الأنعام عن اللهو ،و تأخر عنه في سورة الأعراف ، ونجد هذا التقديم والتأخير في مواضع عدّة أخرى ، فما وجه هذا الاختلاف ؟

يقول ابن الزبير :" الواو وإن كانت لا ترتِّب فإنه لا يتقدم اللفظ في الكتاب العزيز ذكرا أو يتأخر إلا بموجب"[3]

[1] – الأنعام / 70.

[2] – الأعراف / 51.

[3] – ابن الزبير، ملاك التأويل، ص 445.

ثمّ يوجّه هذا الاختلاف :" فوجه تقديم اللعب في الأنعام أنه المتقدم في الوجود الدنياوي على اللهو ... وهو المطابق لسنّ الإبتداء ، فإذا استمرّ ألهى عن التدبّر و الاعتبار وشغل تماديه عن التفكر فيما به النّجاة والفوز ... فورد الإخبار على حسب جري الأعمار، وأنهم اعتمدوا البقاء مع مقتضى الطبع الإنساني إذ لم يُصغِ المكلَّف إلى داعٍ ولا تكلَّف الخروج عن مقتضى هواه ... فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالإعراض عنهم ... أما آية الأعراف فإنها قول المؤمنين أهل الجنّة إخبارا عن حال الكافرين الموجبة لتعذيبهم فقدّموا في الذكر اللهو الشاغل عن الاستجابة الجاري مع سن التكليف والمساوق له ... وهو معاقب اللعب والذي اتخذه الكافر بالقصد والاختيار عوضا عن شاق التكاليف "[1]

وعليه، فهناك بون واسع بين الواقعين التواصليين للملفوظين وحيثياتهما ؛ المتكلمين والمخاطبين وأحوالهم ، الزمان والمكان .

ولكي تتضح الصورة أكثر فآية الأنعام خطاب الله تعالى لرسوله ليعرض عن الذين اتبعوا هواهم وغرّتهم الحياة الدنيا ، فقدم اللعب عن اللهو لأن اللعب أسبق تساوقا مع مراحل عمر الإنسان ، واللهو ناتج عنه وعن الانشغال به.

أما في الأعراف فالمتكلم هو أهل الجنّة والمخاطبون هم أصحاب النار ، والمكان والزمان هو دار الآخرة و الجنة والنار بخلاف الآية السابقة فقد كانت في الدنيا ، و مقال أهل الجنّة كان ردًّا على أصحاب النار في قوله تعالى: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) فتقدّم اللهو عن اللعب لأنّه هو ما شغلهم عن الاستجابة في سن التكليف ، فقدموا ما قصد من موجب مآلهم ، وعُطِف باللعب لأنّهم اختاروه قصدا وعوضا عن مشقة التكليف .

لهذا وذاك جرى الملفوظ على ما جرى عليه .

[1] –ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ص ص 445_447.

8-الاختلاف في اللفظ: (الإبدال)

ونقصد به الإبدال أو الترادف إن صح القول به . والترادف أحد الوسائل التي توفر قائمة كبيرة من الإمكانات المتاحة لاختيار المفردات والاختيار هو أحد التعريفات الشائعة للأسلوب ، إذ يعرف بأنه

اختيار أو انتقاء استنادا إلى علاقة المنشئ بالنص ، فالمنشئ (المتكلم / المبدع) يقوم بانتقاء سمات لغوية معينة من جملة الإمكانات التي يقدمها النظام اللغوي.

وهذا لا يعني أن كل اختيار يقوم به المتكلم أو المبدع لابد أن يكون أسلوبيا، فقد يكون اختيارا محكوما بالموقف الكلامي أو المقام أو مايسمى بالاختيار التداولي Pragmatic Selexion حيث ينطلق الاختيار من فكرة وجود علاقة بين اللغة والعمل، فهو يحقق قصدية المتكلم في إحداث تأثير ما [1].

والشواهد عديدة في القرآن الكريم وفي المتشابه اللفظي منه ، نحو (يفعل / يخلق) (أرسل / ابعث) (قال / نادى) وقد اخترنا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾[2] ،في سورة النازعات وقوله من سورة عبس: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾[3] .

فإذا كانت الطامة والصاخة المراد منهما يوم القيامة فما وجه الاختلاف ؟ وهل يحسن ورود الصّاخّة هنا والطّامة هناك؟

ينطلق ابن الزبير في توجيهه للآيتين من البعد الملفوظي لتوضيح الملاءمة الملفوظية لهما بتبيين الفرق اللغوي للمفردتين (الطامة- الصاخة)[4] والتي -حسبه- وإن كان القصد منها الشيء ذاته وهو يوم القيامة فإن (الطامة) أرهب وأنبأ بأهوال القيامة.

---

[1] – انظر: تومان غازي حسين، نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم ، مقال ، Http://www.Iasj.net

[2] – النازعات / 34 .

[3] – عبس / 33.

[4] – طمى : الطاء والميم والحرف المعتل أصل صحيح يدل على علوّ وارتفاع، يقال طما البحر يطمو ويطمي لغتان وهو طام إذا امتلأ واعتلى. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (طمى)، ج3، ص 422.

طم الأمر إذا علا وغلب ولذلك سميت القيامة الطامّة. نفسه ، مادة (طم) ج3، ص406

صخ: الصاد والخاء أصل يدل على صوت من الأصوات من ذلك الصاخة، يقال إنها الصيحة تصم الآذان ، ويقال ضربت الصخرة بحجرٍ فسمعت لها صخًّا. نفسه، مادة (صخ) ، ج:3، ص281.

فلمّا كان الفعل الكلامي –وهو التخويف والإنذار– في سورة النازعات أكثر قوّة وقع الاختيار التداولي على اللفظ الأبلغ في إبراز الفعل وتقوية إنجازيته.

ولذلك أردف بالوصف (الكبرى) وهو وصف حجاجي دعم الفعل الكلامي في آية النازعات. ولم يكن ذلك في سورة عبس لأن الفعل الإنجازي كان فيها أقل حدّة، لأن قصدية السورة كانت مبنية على قصة عبد الله بن مكتوم الأعمى[1] ، والعتاب اللطيف لرسول الله وتذكير بيوم القيامة (إنها تذكرة)[2] وأهوالها وتحريك الاعتبار ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[3] [4].

وعليه، يثبت ابن الزبير دقة الاختيار التداولي للمفردتين في كل من الملفوظين معتمدا على قصدية الآيتين.

[1] – ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج:30 ، ص 102.

[2] – عبس / 11.

[3] – عبس/ 24.

[4] – انظر: ابن الزبير ، ملاك التأويل ،ص ص 1135،1136.

خاتمة

حاولت الدراسة الكشف عن الأبعاد والمقومات التداولية لاجتهادات ابن الزبير الغرناطي في كتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل .

وقد كانت مجازفة منّا أن حاولنا مقاربة الخطاب القرآني مقاربة تداولية نتيجة الضبابية التي تتسم بها التداولية ما جعلنا نتخبط في حيرة من أمرنا من كيفية التطبيق في ظل عدم وضوح المنهج وآلياته التحليلية التي نركن إليها ، وعلى الرّغم من ذلك عسانا نكون قد وصلنا إلى مرافئ الأمان محمّلين بما طالت أيدينا من نتائج فيما يلي تفصيلها:

– لا تخرج أسباب الاختلاف في الآيات المتشابهة اللفظ عن تغير أو اختلاف يطال مستعملي تلك الملفوظات أو أحوالهم ومقاصدهم ومعتقداتهم ، أو الظروف المحيطة بالحدث الكلامي في الملفوظات، فقد يكون السرّ في اختلاف الآيتين هو اختلاف المتكلّم في الملفوطين أو اختلاف المخاطب، أو أحوالهما أو السّياق الذي يقع فيه الفعل الكلامي أو في درجة القوة وقد تتّحد عناصر الملفوظ فيكون الاختلاف في السّياق بانواعه ، فتتغيّر عملية إنتاجه.

– عنى ابن الزبير بالفعل الكلامي حيث كان من أبرز الآليات التي اعتمد عليها في تبرير التشابه، و كثيرا ما استعان بالمقام والسياق التواصلي لتحديده.

– يعدّ السّياق ركيزة أساسية لمقاربة النص القرآني وهو كذلك عند ابن الزبير .

– وإن كان اختلاف في العناصر السياقية بين الآيات جليّا فأن هذا لا يكفي لتبرير التشابه، إنما سعى صاحب الكتاب لتوضيح العلاقة بين تلك العناصر و توجيهها للملفوظ بتحديد خياراته.

– لم يغفل ابن الزبير في استقصائه لأسرار التشابه والاختلاف عن اختلاف المعطيات بين الملفوظات مما ينتج عنه تغيّر في بنيتها و عناصرها، وقوّتها التأثيرية ، فتجده يبحث بحثا حثيثا عن العلاقات الدلالية والتداولية، ويتعامل مع الآيات السّابقة للملفوظ واللّاحقة باعتبارها متتاليات تربطها عمليات

ذهنية تتظافر لتحقيق قوّة إقناعية تعمل على توجيه ذهن المتلقي إلى قصد بعينه، وهنا يتجلى البعد الحجاجي في توجيهاته.

– إيمان ابن الزبير بتداولية وملفوظية الخطاب القرآني ومفهوم الاستعمال الذي يضبط الملفوظ ويحدد القصد والمعنى، ما جعله على قناعة تامّة بوجود أسرار وراء تحديد شكل الملفوظ وانتقاء عناصره، و هو ما ينفي أيَّ اعتقاد بأن تكون تلك الاختلافات مجّرد تنويع و تلوين للقول دون غاية تذكر، إنما وجدت للتأثير على المتلقي، وتوجيهه لما يذهب إليه المتكلم ، وهو ما يسعى في هذا الكتاب لإثباته.

– القصد عملية عقلية معقدة يشترك فيها الشعور واللّاشعور ، قد لا يضبطها حتى المتكلم نفسه ، لذا فمحاولة تعيينه لا يمكن أن تزيد عن مجرّد مقاربة له.

– نلمح من خلال توجيهات ابن الزبير شخصية واثقة، قوية، بعيدة النظر، عميقة الفكر، وسيرته تبرر ذلك ، إلا أنه كثيرا ما يبالغ بالثقة في اجتهاداته ويتجرّأ بالحكم على مقصدية الخطاب القرآني وملفوظيته، وعلى اجتهادات غيره من علماء المتشابه.

– توجيهات ابن الزبير تداوليّة بامتياز ، وإن خلت من المصطلحات التداولية إلَّا أنَّ الفكر التداولي حاضر وبعمق، فقد عنى كما رأينا بعناصر الملفوظ خاصة المتكلّم والمخاطب وكل الظروف التي أسهمت في عملية إنتاجه. ولعلّ بسطه الواسع في الشّرح وعنايته بتحرير معنى الآيات وربطها بما سبق من سياق لفظي، بل والسّياق العام للسورة، كل ذلك ساعدنا على رصد ملامح منهجه التداولي.

– إن كان البلاغيّون يرون في توجيهات ابن الزّبير أسرارا بلاغية فإنّا علاوة على ذلك نرى فيها عللا تداولية تكشف عن تداولية الخطاب القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

– يصنّف ملاك التأويل ضمن كتب التفسير للقرآن الكريم إلّا أنّ موضوعه أخصّ وهو إظهار الاختلاف في الآيات المتشابهات التي حرّر فيها المعنى دون كثير لجوءٍ إلى التفصيل في العناصر

والوحدات ، بل كان تركيزه منصبّا على نقطة الاختلاف و تعليلها بإقامة مقارنة بين أطراف الخطاب السياقات التواصلية التي انتجت تلك الملفوظات.

– شغفنا بالدراسات الحديثة يؤدّي بنا في نهاية أمرنا إلى العودة إلى الأصل، إلى تراثنا العربيّ ، لنعلم مقدار جهلنا بما تزخر به خزانة الأدب لدينا، فأبواب عديدة بلاغية ونحوية وصرفية كالتقديم والتأخير والحذف والذّكر والترادف وحروف المعاني... وغيرها مما يشكل مادة دسمة تثري الحقل اللساني التداولي العربي ونظرية أفعال الكلام و الحجاج، لو أنها تلقى مزيدا من العناية من باحثينا العرب، وجهود عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة و حازم القرطاجني في منهاج البلغاء و المرادي في الجنى الداني في حروف المعاني وسيبويه في الكتاب وغيرهم كثر خير دليل على ذلك.

– البحث في أسرار المتشابه اللفظي يفوق وصف المتعة، إلى جانب الفائدة التي يحققها في تثبيت الحفظ للآي بعمق الفهم، كما يظهر متانة السّبك و الحبك في أسلوب الخطاب القرآني ويصل بك إلى أقوى درجات الاعتقاد و الإيمان بأنّه لا ينطق عن الهوى.

وفي نهاية بحثنا لم يبق لنا إلا أن نحمد الله تعالى أن وفقنا في إتمامه، راجين أن يكون جهدنا فيه مسدّدا، وأن يكون إضافة لمكتبتنا ، و إضاءة لهذا النوع من الدراسات اللسانية و القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

*** القرآن الكريم برواية حفص .**

أ / قائمة المصادر :

1- ابن الأثير(أبو الفتح ضياء الدين نصر الله) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح:محمد محي الدين عبد الحميد ،الباني الحلبي ،مصر ، دط ، دت.

2- أيميل بديع يعقوب ، معجم الإملاء والإعراب ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1983 .

3- ابن جني(عثمان أبو الفتح)، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، بيروت عالم الكتب ، ط3 ، 1983.

4- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تح : محمد الحبيب ، الدار العربية للكتاب،تونس ، 2008 ، ط2.

5- الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني) ، درة التنزيل وغرّة التأويل ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، تح: محمد مصطفى آيدين ، ج 1 ، 2001.

6- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد)، المقدمة ، تح : عبد الرحمان محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، ط1، 2004 ، ج1.

7- الرماني (أبي الحسن بن علي بن عيسى)، كتاب معاني الحروف ،تح : عبد الفتاح إسماعيل شبلي ، دار الشروق ،جدة ، السعودية ، ط2 ،1981.

8- الزبيدي (المرتضى محمد بن محمد)، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مصطفى حجازي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، دط، 1966.

9- ابن الزبير الغرناطي(أحمد بن الزبير بن إبراهيم بن الزبير) ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل ، تح : سعيد الفلاّح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2007.

10- الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن ، دط ، ج 1. - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، دار الفضيلة ، تح : محمد صدّيق المنشاوي ، دط .

11- الزمخشري(جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) :

أ- المفضل في علم العربية ، تح : فخر الدين قباوة ، دار عمار ، عمان الأردن، ط1,2004 .

ب- الكشاف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2009.

ج- أساس البلاغة ،دار الكتب المصرية ، دط ، 1992 ، ج 1.

12-السيوطي (جلال الدين) :

- الإتقان في علوم القرآن ، تح : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا، ط1 ، 2008 .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح : محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط1 ، 1964.

13- ابن عاشور طاهر، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس، دط ،1984،ج18.

14- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) ،العقد الفريد ، تح : عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983.

15- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دط، 1979.

16- عبد القاهر الجرجاني(بن عبد الرحمان بن محمد) ، دلائل الإعجاز ، دط، دت.

17- الكفراوي حسن،شرح الكفراوي على متن الأجرومية ، مكاتب سليمان مرعي ، سنغافورا. دت ،دط.

18- محمد بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، دط ، 2009 ، ج1.

19- المرادي (الحسن بن قاسم)، الجنى الداني في حروف المعاني ، دار الكتب العلمية ،تح: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992 .

20- ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990.

21- أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، تح : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1992.

ب / قائمة المراجع :

1- آمال يوسف الغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية ، دار المتوسطية للنشر، الجمهورية التونسية ، ط1 ،2016.

2- إبراهيم عبد العزيز الزيد، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل ،دار كنز إشبيليا للنشر والتوزيع ،ط1 ،2010.

3- أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة ، مصر ، دط ، 1996.

4- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 2008.

5- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط 4 ، 1993 .

6- أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية و أثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث إربد،ط1، 2015.

7 - أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، دط ،الرباط ، المغرب ، 2001 .

8- برينكر كلاوس ، التحليل اللغوي للنص ، تر: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2010.

9- أبو بكر العزاوي ، اللغة الحجاج ، منتديات سور الأزبكية ، الدار البيضاء، ط1، 2006.

10- بهاء الدين محمد مزيد ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية ، القاهرة ، شمس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010 .

11- تمام حسان ،اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1994.

12- جاك موشلار ، وآن ربول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدي المجدوب ، دار سيناترا ، تونس ، ط2 ، 2010.

13- جان سيرفوني ، الملفوظية ، تر : قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكُتاب العرب ، دمشق ، دط ، 1998.

14- جميل حمداوي:

أ- من الحجاج إلى البلاغة ،إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب،2014.

ب- التداوليات وتحليل الخطاب ، شبكة الألوكة ، ط1، 2010.

15- جون براون ، ج يول ، تحليل الخطاب ، تر: محمد لطفي الزليطني ، منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، 1997.

16- جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، تر: سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2006 .

17- جون فندريس ، اللغة ، تر : عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، العدد 1889 ، ط1 ، 2014 .

18- جون لاينز ، اللغو والمعنى والسياق ، تر: عباس صالح الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1987.

19- الجيلاني دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر: محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، الجزائر ، 1983.

20- حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، ط2 ،2012.

21- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ، الجزائر ،2009 ، ط1 .

22- رانيا فوزي عيسى ، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ انموذجا ، دط ، 2014 .

23- سامية دريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط2 ، 2011 .

24- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في المعنى ، تر: كمال بشر ، النيرة ، مكتبة الشباب ، دط ، د ت.

25- سعدي أبو حبيب ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، دار الفكر ، ط2 ، دمشق ، سوريا ، 1988.

26- عبد السلام عشيتر ، عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د ط ، 2006 .

27- شكري محمد عياد ، اللغة و الإبداع مبادئ علم الاسلوب العربي ، ط 1 ، 1988.

28- صابر حباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، سوريا ، دمشق ، دار صفحات للدراسات والنشر ، ط 1 ، 2011 .

27- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، الكويت ، دط ، 1992.

29- طه عبد الرحمان:

أ- اللسان والميزان التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.

ب - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء ، 2000.

30- عباس حسن ،النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، دار المعارف ، مصر ، ط3،د ت، ج 2

31- ابن عقيلة المكي ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن جامعة الشارقة ، ط1 ، الإمارات العربية المتحدة ، 2006 . .

32- علي بهاء الدين بن خدود ، المدخل الصرفي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، دار النشر والتوزيع ،ط1 ، بيروت ، 1988.

33- العياشي أدواري ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، الرباط ، دار الأمان ، ط1 ، 2011 .

34- فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، الدار البيضاء، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، دط ، 2000.

35- فوّاز بن سعد بن عبد الرحمان الحنين ، الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد ، دن ، دط ، الرياض ، 2008 .

36- فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، دار الحوار ، تر : صابر حباشة ، ط1، سورية ، اللاذقية ، 2007.

37- عبد الله صولة :

أ- الحجاج في القرآن الكريم ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ،ط2، 2007 .

ب-في نظرية الحجاج،دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1 ،2011.

38- عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط6 ، 2006.

39- مجدي وهبة كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ،ط2 ،1984 .

40- محمد طلحة بلال منيار ، إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، ط1 ، 2003

41- محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2004.

42- محمد محمود السيّد أبو حسين ، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ، 2010 .

43- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الجامعة الاسكندرية ، 2002 .

45- محمود عكاشة ، النظرية البرغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط 1 ، 2013.

46- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية ، في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة و بيروت ، ط 1 ، 2005 .

47- مشهور موسى مشهور مشاهرة ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ط1،دت.

48- مصطفى الصّاوي الجبويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ،دط ، 1985 ،2010.

49- المهدي إبراهيم عزيل ، السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، ليبيا ، أكادمية الفكر الجماهيري ، دط ، 2011.

50- عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد ، لبنان، ط 1 ،2004.

51- نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة ، دط ، دت.

52- يوسف نور عوض ، علم النص ونظرية الترجمة ، مكة المكرمة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1 ، 1410 هـ.

ج / قائمة المجلات :

1- أحمد يحياوي السعد ، ورائد مجيد جبار، آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام علي ، مجلة العميد ، المجلد 3، العدد2، 2014.

2- إدريس مقبول ، في تداولية القصد ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 5 ، 2014.

3- باديس لهويمل ، التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد 7 ، 2011.

4- أبو بكر العزاوي ، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة ، مجلة الناظر ،المغرب ،سنة الثانية ،ع4، ماي 1991.

5- بويريس درهمان ، مدخل إلى النظرية التداولية ، مجلة علوم التربية .

6- جون سيرل ، العقل ، مدخل موجز ، تر : ميشيل حنا ميّاس ، عالم المعرفة ، العدد 343 ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر 2007.

7- عبد الحليم بن عيسى ، البيان الحجاجي في إعجاز القرائن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا، مقال مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد 120 ، 2006.

8- دلال وشن ، القصدية من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد السادس ، جانفي 2010 .

9- عبد الزهرة عزدة جبر، التقديم والتأخير في الدرس اللغوي العربي مقاربة تداولية، مجلة الأستاذ، ملحق خاص بالمؤتمر العلمي الثالث لسنة 2015 .

10- علجية مودرع ، اللغة بين الفهم والقصدية ، ندوة المخبر اللسانيات مائة عام من الممارسة . Lab.Univ biskra .dz

11- علي بعداش ، الأبعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي الشريف ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع24، جوان 2014.

12- عبد القيوم بن عبد الغفور السنْدي ، منظومتان في متشابه القرآن (هداية المرتاب للإمام السخاوي) و(كفاية القارئ للإمام الحارثي) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج17 ، ع 32 ، ذو الحجة 1425 هـ.

13- محمد عبد المطلب ، النص المفتوح والنص المغلق ، مجلة الموقف الأدبي ، السنة الرابعة و الثلاثون ، العدد 398 ، دمشق ، 2004.

14- محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، مجلة جذور ، العدد21 ، 01سبتمبر 2005.

15- ميشيل لوجيرن ، الاستعارة والحجاج ، مجلة المناظرة ، ع4.

16- ميلود مصطفى عاشور وإياد عبد الله وزين الرجال عبد الرزاق ، القصدية في النص الأدبي،دراسة لسانية ، الرواق ، مجلة علمية محكمة السنة الأولى ، العدد الأول ، 2015.

17- هشام صويلح ، القصدية ، مبحث فلسفي تداولي من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد الثامن ، ج 2 جوان 2017.

18- أبو يوسف ومحمد الثامي ،الإحالة ب (ال) العهدية ودورها في التماسك النصي ، مجلة جامعة الأقصى ، العدد2، مج21، يونيو 2017.

د / الرسائل العلمية :

1- برير محمد أحمد ،أسماء الإشارة ،دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ،جامعة الخرطوم ،2007 .

2- عبد الرحمان بوشلاغم ، تجليات مظاهر التداولية في التراث العربي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2014 .

3- سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي مقاربة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، 2011 ، 2012 .

4- صالح عبد الله محمد الشثري ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، في اللغة العربية و آدابها ، جمعة أم القرى ، 2001.

هـ / المواقع الإلكترونية :

1- تومان غازي حسين، نفي ترادف ألفاظ القرأن الكريم ، مقال ، HTTP://WWW.IASJ.NET

2- سحر أحمد رامي ، التمثيل وأبعاده الحجاجية في القرآن الكريم ، مقال : www.mk.ip .23/10/2016

3- عبد السلام إسماعيلي علوي ، التلفظ و الإنجاز ، مقال ، الموقع الالكتروني aljabriabed . https://www.net

4- سلطان زغلول ، المقصدية نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب ، صحيفة الراي . httd://alrai.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العناوين	رقم الصفحة
مقدمة	أ – و
الفصل الأول :الأبعاد التداولية والمتشابه اللفظي	16–79
أولاً : الأبعاد التداولية	16–69
البعد الملفوظي	16–22
البعد الاجتماعي	23–33
البعد القصدي	33–48
البعد الإقناعي	48–69
ثانيا : المتشابه اللفظي	70–79
تعريفه	71–73
أنواع المتشابه اللفظي	73–76
أهميته	76
فوائده	76–77
مصنفات المتشابه اللفظي	77–79
الفصل الثاني :المقاربة التداولية لتوجيهات ابن الزبير في ملاك التأويل	81–159
أولاً :ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي	81–92
تعريف بابن الزبير الغرناطي	81–87
اسمه ونسبه	81
مولده ونشأته	81
خصاله	82
مكانته العلمية	83
مذهبه	84
شيوخه وتلاميذه	85
وفاته وآثاره	85
التعريف بالكتاب	87–92

اسمه وموضوعه	87
الغرض من تأليفه	87
منهج الكتاب	88
مصادره	90
القيمة العلمية للكتاب	91
مآخذ عن الكتاب	91
ثانيا: المقاربة التداولية لتوجيهات ابن الزبير في ملاك التأويل	131–92
الاختلاف في الصيغة	100–92
–في الاسمية والفعلية	92
–في صيغة الماضي والمضارع	94
–في الصيغة الصرفية للماضي	97
–في الصيغ الاشتقاقية	100
الاختلاف في الإفراد والجمع	104–102
–الجمع الإفراد في الأسماء الظاهرة	102
–الجمع والإفراد في الضمائر	104
–الاختلاف في صيغ الجمع	105
الاختلاف في التذكير والتأنيث	114–107
الاختلاف في التعريف والتنكير	114–109
–التعريف والتنكير بالألف واللام	109
–التعريف بالاسم الموصول	111
–التعريف بالإضافة	114
الاختلاف في اختيار الحرف	119–115
–في حروف العطف	116
–في حروف الجرّ	118
–في حروف النفي	119
الاختلاف في الذكر والحذف	125–120
–ذكر الحروف وحذفها	121

–ذكر الكلمة وحذفها	122
–ذكر الجملة وحذفها	124
–ذكر القيد وحذفه	125
التقديم والتأخير	129–126
الاختلاف في اللفظ (الإبدال)	131–130
الخاتمة	134–132
قائمة المصادر والمراجع	144–136
فهرس الموضوعات	–

بسم الله الرحمن الرحيم